الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي بالبويرة العقيد أكلي محند أولحاج

معهد الآداب واللغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

الأساس الصوتي بين المعجمية و العروض عند الخليل بن أحمد الفراهيدي

مذكّرة تّخرج لنّيل شهـادة اللـّـيسـانس

إعداد الطّالبين:

- أوشنـــي سمير
- عمـــاري سليمان

إشراف الأستاذ:

- بوشنب حسيـن

السنة الجامعية:

2011 / 2010

مقدّمة:

نحمدك اللهم و نستعينك و نستهديك و نستغفرك و نعوذ بوجهك الكريم من العجب النحس، و من التكلف لما لا نحس، و نصلي و نسلم على خير خلقك و خاتم أنبيائك سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و على آله و صحبه و المهتدين بهديه إلى يوم الدين و بعد...

فإن اللغة هي أحد المقومات الرئيسية لأي أمة من الأمم، فتطور الأمة و استمرارها مرهون بمحافظتها على لغتها و قدرة هذه اللغة على التطور و النمو و الاستيعاب و لا شك في أن اللغة العربية هي إحدى أغنى اللغات الحية المتجددة و يكفيها شرفا و اعتزازا أنها حملت رسالة السماء على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و ظلت هذه اللغة، لغة الحضارة و الإنسانية لعدة قرون، حتى أن بعض من الشعوب التي دخلت الإسلام نبذت اللغة الغربية إلى درجة أنها تناست لغتها الأصلية كشعب فارس الذي تكلم العربية لمدة تزيد على قرن من الزمن و ما وصل إلينا من عصور ما قبل الإسلام من الأدب و حكم الأمثال دليل واضح على فصاحة العربية و قدرته على البيان.

و بعد ما جاء الإسلام ازداد الاهتمام باللغة العربية لفهم القرآن و زاد الاهتمام بها أكثر في العصور التي تلت صدر الإسلام خصوصا عند اختلاط العرب بالعجم فبرزت طائفة من العلماء و أهل اللغة و حملت على عاتقها لواء و جمع ألفاظ اللغة العربية و حمايتها من ظاهرة اللحن، و كان الخليل رحمه الله الرائد الأول في هذا المجال من خلال انجازه الكتاب و اكتشافه لعلم العروض، و نظرا لأهمية العلمية التي يكتسبها الموضوع فقد اخترناه مجالا لدراستنا هذه إيمانا منا بخدمة لغتنا العربية التي لازالت و كما كان الخليل بن أحمد إماما مبتكرا في اللغة و النحو و العروض كان مثلا رفيعا من الخلائق الإنسانية الفاضلة و الزهد و الورع و التقوى و كان سمحا كريما، سخيا بعلمه، جوادا بمعارفه المبتكرة، يهب لتلاميذه علمه بعد أن يضع لهم القواعد و الأصول و قد أكلت الدنيا بعلمه و كتبه.

و لقد كان هذا العالم ذا ذهن رياضي مبتكر أعماله في جميع فروع العالم التي اشتغل بها حتى كان سببا في وفاته، فيقال إنه فكر في ابتكار نظام حسابي خاص ييسر لجاريته معاملة البائع حتى لا يخدعها، و ظل هذا التفكير مسيطرا عليه حتى إنه دخل المسجد و هو يفكر في هذا النظام الحسابي، و من فرط اهتمامه لم يرى أمامه فضرب رأسه في سارية من سواري المسجد(أحد أعمدة المسجد) ضربة قضت على حياته، و هكذا طويت حياة عالم جليل أسدى إلى العربية أيادي لا تنسى.

إهداء

إنَّ الاعتراف لأهل الفضل علينا في هذا البحث واجب وأكيد :

فإنَّا نُجزل شكرنا وامتناننا إلى:

-أستاذنا المشرف: الأستاذ بوشنب حسين ،الذي بدوره لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيّمة في هذا الموضوع.

-إدارة معهد اللغات والأدب العربي ، على رأسها مدير المعهد الذي شجَّعنا على اختيار هذا الموضوع ، الدكتور عبد الرّحمن عيساوي

-أساتذة معهد اللّغات والأدب العربي على رأسهم : الأستاذ طابوش بوعلام الذي أفادنا ببعض المعلومات القيّمة في مجال دراسة الأساس الصّوتي بين المعجميّة و العروض عند الخليل بن أحمد الفراهيدي .

زميلنا في الدّراسة الطَّالب أبوبكر الصّديق سعدي الذي أفادنا بباقة من المراجع القيّمة في هذا الموضوع .

- كل من ساهم من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع.

سمير - سليمان

-إلى من أحَاطَاني بالرّعايَة والحَنان ، وعلّماني الصّبر والإيمان، وزَرَعا في قلبي المَحبّة والأمَان ، **الوالدَين العزيزين**:

- إلى قرَّة عَيني ، منبَع حنَاني ، مصدرُ إلهَامي ، إلىَ لؤلؤة بَدري وضياء عُمري

- إلى الّتي سهرت على تربيتي . **أمّي الغالية زكيّة سمعون'حفظها الله'.**

- إلى سِلاحي في الحياة ، الإنسان الطّيب الذي تَعبَ لأجل إسْعَادي ، وجَادَ بَراحتهِ لرَاحتي ،.إلى الذي مَنحَني الثّقة والعطف ولم يبخَل بعطائِه. **أبي العزيز محمّد 'حفظه الله'.**

- إلى بَهجة دَارِنا إخوَتي : **عميروش، فهيم,وليد, والصَّغير ' أنيس '** إلى أخَواتي **: عبلة وزوجُها عز الدّين ، فتيحة ، خاتمة.**

- وإلى مُدلّل البَيت الذي يَملأ الدُّنيا ضَحِكًا وشَغَبًا ،الكتكوت الصَّغير **'بلال'**

- إلى **جدَّايَ حسين والجيدة** أطالَ الله في عمرهما.

-إلى كلّ الأهل والأقارب .

-إلى مديرمعهد اللّغات و الأدب العربي **الدكتور عيساوي عبد الرّحمن**

- إلى كلّ من سَيبقى ذِكرَى مَحفورة في قَلبي وذَاكِرتي كلٌّ بذكرَاه، وأخُصُّ بالذّكر اللّذان شَارَكَانِي أربَع سَنواتٍ في الجَامعة بحُلوهَا ومُرّها **'عمور العيد '** .ومن خَتمها مَعي بالمذكّرة **'سليمان'**، إلى كلِّ الأصدقاء الذّين تقَاسَموا مَعِي حَلاوَة الحيَاة الجامعيَّة ومرَارتها : **عنتر، الهامل ، قارف خالد, مزراق محفوظ, جمال معيز, فاتح, نذير بن عبد الرحمن, أتشوبا سمير, عيسي مهني, عثماني جمال, عثماني توفيق, مزيان,شيبوب, السّعيد, بلحديد حكيم ,فرج عز الدّين , سالم سعد,كركور بلال,جمال نواري,بن عكوش عيسى,مولود,بوعلام,يوسف, سعيد, الباهي,علي,جوادي عثمان,أمين,توفيق,عُمر سيلم, نعيم, نواري رشيد,مرزاق,محمد,الجيجلي...إلى جميع والأحباب الأعزّاء**

-إلى كلّ عمال الجامعة و الخدمات الجامعية من الأعوان إلى المدراء

أهدِي ثمَرة جُهدي

إلى الأخ سعدي أبوبكر الصّديق

الفصل الأول

- الخلّيل و المعجمية:

- نظرة تاريخية في الصناعةالمعجمية.

- الصناعة المعجمية عند العرب .

- دراسة وصفية لمعجم العين.

- منهج العين في تقديم المادة.

- طريقة الكشف في معجم العين.

*نبذة تاريخيّة حول حياة الخلّيل:

هو عبد الرحمان،الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، اليحميدي البصري ولد سنة 100هـ و توفي سنة 175هـ تقريبا.ولد بمدينة عمان على شاطئ الخليج الفارسي، و انحدر من أصل عربي صرف، إذ ينتسب إلى بطن فرهود من قبيلة الأزد، و لكن نشأته بالبصرة غلاما، و تلقيه العلم بها تلميذا، و رئاسته لمدرستنا شيخا جعلته يشتهر بلقب الخليل بن أحمد البصري و هو أستاذ كبير من أئمة اللغة و النحو، و هو أعظمهم جميعا، و من تلامذته: سبويه والأصمعي، و النضر بن شميل، و الليث بن المفظفر، و مؤرخ السدوسي و أبو الحسن الخفش.(1) و لقدكان الخليل بن أحمد أعجوبة عصره ذكاء و فطنة، و عقلية ناضجة، و عبقرية فذة، و نظرة علمية ثاقبة ، و كان يتميز بحدة الفكر و بعد النظر، و كفاه فخرا أنه وضع أسس علم النحو، و جعله علما قائما على أصول و قواعد، و لولاه لمضى زمن طويل حتى يصل العلماء إلى قواعدعلم النحو و أصوله، إلا أن الخليل استوفى النظر فيه و البحث، ثم وهب كل ما لديه من هذا العلم لتلميذه النجيب سبويه الذي أضاف إليه ما لديه و أخرج للناس كتابا وضح فيه السبيل، و قد لهم النحو علما ثابت الأساس، و فتح للعلماء باب التأليف فيه، و أصبحت له مدارسه المعروفة.
و العلم الثاني الذي وضع أساسه الخليل دون منازع، بل و اكتمل بناؤه على يديه هو علم العروض الذي كان علما كاملا لم يحتج إلى تهذيب بعده،و يروي المؤرخون من سبب ابتكاره لهذا العلم رواية طريقه و هي أنه مر يوما بحداد، فاستوفاه دق المطرقة المنتظم، فلما حاول أن يربط بين هذه النغمات الرتيبة و بين الأوزان في الشعر العربي تم له ذلك باختراع علم العروض.(2)و العلم الثالث الذي وضع أساسه الخليل و ظهر في صورته المتكلمة هو المعجم العربي،فالخليل هو صاحب أول معجم عرفته العربية، جمع فيه ألفاظ اللغة و شرح معانيها و رتبها ترتيبا علميا،بل حاول حصر اللغة حصرا علميا دقيقا، و سنتطرق إلى دراسة مفصلة له لاحقا في بحثنا هذا(3).

1-رجب عبد الجواد إبراهيم،دراسات في الدلالة و المعجم، ص،.159

2 -نفس المرجع السابق، ص 161

3 - نفس المرجع السابق ، ص 162

و لم يترك الخليل بن أحمد علما أو فنا إلا برز فيه، فقد ألم بكل معارف البشر في عصره فهو المحدث، و القارئ، و النحوي، و اللغوي، و العروضي، و الرياضي، و الموسيقي، و الفلكي، و لا نكون مبالغين إذا قلنا إنه كان أشبه بالموسوعة العالمية، و بدائرة المعارف في عصره. و للأسف الشديد لم يصل إلينا من مؤلفات الخليل سوى معجم العين، و هناك ستة كتب له وردت أسماؤها متناثرة في كتب الطبقات، و قد جمعتها دائرة المعارف الإسلامية و هي: النقط و الشكل، النغم، القروض، الشواهد، الإيقاع، الجمل هذا، و قد أثن على الخليل عدد من علماء عصره، فهذا بن المقفع يقول: "لقد لقيت فيه رجلا عقله أكبر من علمه " و هذا خلف بن المثنى يخبرنا أنه قد اجتمع في البصرة في وقت واحد عشرة من أكابر العلماء في مختلف الفنون، أولهم الخليل بن أحمد اللغوي و ثانيهم بشار بن برد الشاعر، و مدحه حمزة بن حسن الأصفهاني بقوله: إنه لم يكن للمسلمين أذكى عقلا من الخليل.

الفصل الأول: الخليل و المعجمية

أولا:نظرة تاريخية في الصناعة المعجمية:

بدأت صناعة المعاجم منذ عهد سحيق على يد الهنود في شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة ثم تطور هذا النظام فألحق بكل لفظ في القائمة شرح لمعناه، ثم ظهرت كتب لا تفسر نفسها على ألفاظ النصوص المقدسة، و أقدم ما وصلنا منها معجم ظهر قبل القرن السادس الميلادي المؤلف بوذي اسمه أمارا سنها، و يعيب هذا العمل و أمثاله أنه كتب في شكل منظوم ليسهل حقله و أنه لم يتبع أي ترتيب ييسر اللجوء إليه، كما يعيب المعاجم الهندية أنها كانت إلى ما بعد القرن العاشر ميلادي فاقدة لأهم عنصرين من عناصر المعجم و هما الشمول و الترتيبي.

أما اليونانيون فقد أنتج اليونانيون عددا من معاجم اللغة اليونانية، و قد ظهرت الصناعة المعجمية كثيرا في المدينة الإسكندرية، و تعد القرون الأولى بعد الميلاد هي العصر الذهبي للمعاجم اليونانية. أما عن الصينيين فيقول فيشير "إن استثنينا الصين لا يوجد شعب آخر يحقق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته و شعوره المبكر يحتاج إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول و قواعد غير العرب" و كما يصدق هذا على الدراسات الصوتية يصدق على صناعة المعاجم التي يرجع أقدم ما عرف منها عنهم إلى الفترة ما بين 200ق.م و ميلاد المسيح، و تنوعت معاجمهم فشملت ما يمكن أن يسمى بمعاجم الموضوعات،و معاجم الألفاظ المرتبة ترتيبا صوتيا.(1)

ثانيا: الصناعة المعجمية عند العرب :

كان العرب يسكنون الجزيرة و ما حولها، و كانوا يعيشون قبائل و كانت هذه القبائل تختلف في لغتها، و هذا الاختلاف قد يكون اختلاف كلمات و قد يكون اختلاف في الحركات(2) و هذا الاختلاف بين القبائل قد عُظّم واشتدّ كالاختلاف بين القبائل الغنائية في الحجاز و القحطانية في اليمن، و كان لهذا الاختلاف نتائج منها اختلاف القراءات في القرآن فإنها تلين حسب اختلاف العرب في لغاتهم و لهجاتهم، و كان هذا الاختلاف أيضا أهم الأسباب في كثرة المرادفات في اللغة العربية، فقالوا، إن للعسل ثمانين اسما، و للسيف خمسين اسما، و كان الإسلام و الفتح و ما تبعهما من حضارة سببا في انتشار اللغة و سعتها، و لكن هناك ناحية أخرى لا يصح إغفالها، و هو أن الإسلام و الفتح و الحضارة أنتجت أشياء لها خطرها من ذلك أن جزيرة العرب أصبحت مرتادا للأعاجم، فحضارة الإسلام كانت مقصد المسلمين كلهم في الحج بمكة.

1-أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث،ص،20

2-أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثاني،ص،243

كان العرب يتكلمون العربية سليقة(1)، و كان الأعاجم يأتون أفواجا للحج، و لقضاء مصالحهم، فاختلط العجم بالعرب، و أخذ الفساد يدب في تلك السليقة و ظهر اللحن، و كان مما ساعد على شيوع هذا اللحن أن اللغة العربية لغة معربة، و هذا ما يجعلها من أصعب اللغات، كما يمكن أن نشير إلى أنه هناك دوافع أخرى كانت سببا في تأليف المعجم و لغته، و لا نكون مبالغين إذا قلنا إن جميع المؤلفات اللغوية التي صدرت عن العرب قديما كان أساسها الاهتمام بالقرآن الكريم و لذلك بمكن أن نعد دور "ابن عباس" رضي الله عنه في تفسير القرآن الكريم خطوة أولى من مراحل التأليف المعجمي،و قد كان ابن العباس أعلم الصحابة بالقرآن و معانيه، و تمثل ذلك في مسائل "نافع بن الأزرق" فقد روي عن أنس رضي الله عنه: "أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر قوله تعالى: "و فاكهة و أبّا" فقال هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر" و لذلك فكثيرا ما كان الصحابة يسألون بن عباس فيما غمض عليهم من معانيه و ذلك أنه " وقف على لغات العرب و نوادرها و فصيحها و دلالات مفرداتها، و أعانه رسوخه في اللغة و علمه بما عليه أن يفسر للناس معاني الألفاظ تفسيرا لغويا"(2)

و كانت هناك دوافع أدت إلى تأليف المعاجم، يمكن أن نبيّنها فيما يلي:

1-الاحتكاك بين الأجناس المختلفة التي دخلت الإسلام من فرس و يونان و أحباش و كان لهذا الاحتكاك أثره في حرص العرب على فصاحة لغتهم و نقائها من أثر الدخيل و المولد من الألفاظ غير العربية، فنتج عن ذلك تدوين العربية و جمعها في مدونات حتى لا تتأثر بلغات الأعاجم.

2-هناك ألفاظ غربية داخل اللغة نفسها، و تحتاج إلى من يكشف النقاب عنها، و يوضح معناها و يزيل غموضها و تبيين ما فيها من غرابة، لذلك وجدنا ما يسمى ب "معاجم الغريب" منها غريب القرآن و غريب الحديث.

3-حاجة الكثير من الشعراء و الخطباء و الحكماء إلى ثروة لغوية،و مفردات متعددة من مورثهم الذي تراكم عبر الأزمنة، و الذي يجمع جميع لغات القبائل، و على ذلك كله عمد الأفذاذ من الرجال إلى وضع معجمات موضوعية و غير موضوعية لجميع تلك الألفاظ.
4-حرص العرب الأوائل على حفظ القرآن الكريم و فهم معانيه، لأنه لم يكن كتابا يتلى في الصلوات فحسب إنما كتابا يصلح لجميع شؤون حياتهم من خلال أحكامه و أصوله و من ثم وضعوا المعجمات التي تساعد على تفسيره و الإحاطة بمعانيه.

1-نفس المرجع السابق، ص، 144،145

2-أحمد أمين، نفس المرجع السابق،ص، 243

3-نادية رمضان،قضايا في الدروس اللغوية ص 10

و كل هذا دفع بالعلماء إلى وضع قواعد لحفظ العربية، فكان النحو و كان علم اللغة و كان طبيعيا أن يسير جمع اللغة في مراحل ثلاث:

*المرحلة الأولى:

جمع الكلمات حيثما اتفق،فالعالم يرحل إلى البادية، فيسمع كلمة في المطر و كلمة في اسم السيف، و أخرى في الزرع و النبات و غيرهما في وصف الفتى أو الشيخ إلى غير ذلك،(1)فيدونون ذلك كله من غير ترتيب إلا ترتيب السماع، كالمتحدث كان يسمع حديثا في الوضوء و حديثا في البيع، و حديثا في الميراث فيجمع ذلك كله على ما سمع من غير ترتيب، و دليل ذلك ما روي عن العلماء الأولين في رواياتهم و عن صحفهم من تفسير كلمات متفرقة لا يربطها رابط.

*المرحلة الثانية:

جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد كالمتحدث يجمع أحاديث الصلاة، و يسميها كتاب الصلاة و أحاديث البيع، و يسميها كتاب البيع مثال ذلك: ما قيل عن الأصمعي أنّه قال "من أصوات الخيل الشخير و النخير و الكرير" فالأول من الفم و الثاني من المنخرين و الثالث من الصدر" و مثل قوله" الهثل من المطر أصغر من الهطل" و هذه الكلمات متقاربة اللفظ متقاربة المعنى، فأرادوا تحديد معانيها بدقة، مثال ذلك الكسائي:"القضم للفرس و الخضم للإنسان" و مثل "القد طولا و القط عرضا"(2)،أو رأوا كلمة واحدة وضعت لمعاني مختلفة ففسرها، كما جاء في قول الأصمعي:" العنين النقد من الدرهم و العين مطر أيام لا تقلع، و العين عين الإنسان، و العين عين البئر و العين عين الميزان و العين عين النفس أي يعين الرجل الرجل ، ينظر إليه فيصيبه...الخ" و توجهت هذه المرحلة بكتب تؤلف في الموضوع الواحد، فألف أبو زيد كتاب في المطر و كتاب في اللبن(3) ، و ألف الأصمعي كتبا كثيرة و صغيرة، كل كتاب في موضوع، فكتاب في النخل و الكرم و كتاب في الشتاء، و كتاب في الإبل، و كتاب في أسماء الوحوش، و كتاب في الخيل و كتاب في النبات و الشجر، لبيان نوع التأليف نسوق مثلا: قول الأصمعي في كتاب النخل و الكرم : "من صخر النخيل الخبيث و هو أول ما يطلع من أمه و هو الودي و الهواء و الفسيل و إذا كانت الفسيلة في الجذع و لم تكن مستأرضة فهو من خسيس و العرب تسميها الراكب فإذا أقلعت الودية من أمها بكرا قبل ودية من أعلى فإذا غرسها حفر لها بئرا فغرسها ثم كبس حولها بتر نوق المسيل و الدمن فتلك البئر هي الفقير، يقال فقرنا للودية تفقرا و لأشأ من صغار النخل"(4)

1-محمود فهمي الحجازي،علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في الضوء،التراث واللغات السامية ص97

2-أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص245،146

3-محمود فهمي الحجازي،لم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث و اللغات السامية،ص،97

4-أحمد أمين، ضحى الاسلام، ج(2)، ص 248،249.

*المرحلة الثالثة:

وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة، وأول من فكر في هذا الموضوع في اللغة العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي على ما بلغه ففكر في أن يجمع كل ما عرف من ألفاظ العرب في كتاب مرتب، وقد اعترضه في ذلك صعوبتان: الأولى:كيف يحصر لغة العرب والثانية:كيف يرتبها.

ثالثا: دراسة وصفية لمعجم العين:

اتبع الخليل بن أحمد في معجمه منهجا قائما على الصوت لا على الكتابة، مؤمنا بأن الصوت أفصح من التمييز و الدلالة على مخرج الحرف من الكتابة لأن الأصل في اللغة أنها نظام من الرموز الصوتية المنطوقة و قد تعامل بها الإنسان آلاف السنين قبل أن يكتبها و ما الكتابة إلا محاولة تقريبية لتسجيل الواقع الصوتي للغة و في العربية ضوابط للكتابة لا تطابق في الكثير من الأحيان الواقع الصوتي فكلمة عمرو تكتب أربعة أحرف و لكنها تنطق ثلاثة، و كلمة هذا نكتب ثلاثة أحرف و لكنها تنطق أربعة و من ثم فإن الخليل لم يعتمد في معجمه على الكلمة في رسمها المكتوب و إنما اعتمد على الكلمة وفق مكوناتها الصوتية الحقيقية و قد هداه اشتغاله بالموسيقى و الأنغام إلى هذا المنهج لأن الموسيقى في مجملها صوت.

و لسنا مع أولئك الذين قالوا إن هذا الترتيب لم يبتكره الخليل و إنما هو ترتيب اللغة السنسكريتية ، و هي لغة الهند القديمة، أخذه الخليل عن هذه اللغة و استدلوا على ذلك بوجود صلات تجارية بين الهند و جزيرة العرب قبل الإسلام و قويت هذه الصلات بعد الإسلام و كان كاتب السفن و محاسبون لتجار العراق في البصرة و بغداد من السند، و فيهم علماء و مثقفين و أولي العلم من العرب، و نرد على أولئك القائلين بأن وجود طريقة لمؤلف لغة من اللغات لا يمنع أن يصل مؤلف آخر إليها باجتهاد و جهد و خاصة إذا علمنا أن الأبنية من المضعف الثلاثي و المضعف الرباعي من الأمور التي تمتاز بها اللغة السامية عن اللغات الهندية و الأوروبية و كذلك الأمر في التقاليب لم نجد من ينص على أنها استخدمت في معاجم الهنود كما أن أحدا لم يقل أن الخليل كان يعرف اللغة السنسكريتية حتى يتسنى لنا القول أنه أخذ ترتيب معاجم هذه اللغة كما أننا لا ينبغي أن نتجاهل البون الشاسع في ترتيب حروف الهجاء بين العربية و السنسكريتية فضلا عن اختلاف النطق بالحروف بين اللغتين.(1)

و إنما يمكن أن نقول إن الخليل ابتكر هذا الترتيب ابتكارا ساعده عليه علمه الواسع بالموسيقى فهي تقوم على أساس الصوت و على ما يشبه سلم الموسيقى فهو يعتمد على مخارج الحروف عندما ينطق بها، و نظر إلى الأوتار الصوتية و الأوتار اللغوية فصنع سلمه صاعدا عليه من أسفل حتى ينتهي إلى أعلاه متبدأ بأقصى الحلق متدرجا في الصعود حتى يصل إلى الشفة.

1-محمد رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة و المعجم،ص،

و قد نظم سلمة بن عبد الله المعافوي هذا الترتيب الذي وصفه الخليل ليسهل حفظها و هي:

يا سائلي على حروف العين دنوكها في رتبة ضمها وزن و إحصاء

العين و الحاء ثم الهاء و الخـــاء والعين و القاف ثم الكاف أكفـاء

والجيم والشين ثم الضاء تبعـــها صاد و سين و زاي بعدها طـاء

و الدال و التاء ثم الضاء متصـل بالضاء ذال و ثاء بعـــدها راء

و اللام و النون ثم الفاء و البـــاء و الميم و الواو و الهموز والياء

و قد اختار الخليل حروف العين صدرا لترتيبه الصوتي، مع أنه يتلوا حرفي الهمزة و الهاء في ترتيب المخارج، فهما حرفان حنجريان و العين حرف حلقي و بالتالي فهما أسبق من العين، لأن الخليل جعل ترتيبه من أسفل إلى أعلى، و الحنجرة أسبق من الحلق في هذا الترتيب، و يرجع السبب بقوة الوضوح السمعي إذا ما قيست بهما فعليه حين تبلغ نسبة تردد العين في الكلمة العربية حوالي 5.1 كما تبلغ نسبة الهاء نحو 3.3 و الهمزة 2.5 (1)

و هناك سبب آخر ذكره ابن كيسان في قوله "سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص و التغيير و الحذف، و لا بالألف لأنها تكون في ابتداء الكلمة، و لا في اسم و لا فعل إلا زائدة أو مبدلة و لا بالهاء لأنها مهموسة و خفية لا صوت لها: فنزلت إلى الحيز الثاني، و فيه العين و الحاء فوجدت أن العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف.(2)أو الكلمات المكونة من حرفين الثاني فيهما مشدد نحو: شد، عز، أو الكلمات المكونة من حرفين مكررين نحو: حبحب، عبعب، زلزل.

***باب الثلاثي الصحيح:** و نجد فيه الكلمات الثلاثية الصحيحة نحو: علم، ضرب...الخ.

***باب الثلاثي المعتل:** و يضم الكلمات الثلاثية التي بها حرف علة واحد، سواء كان في أول الكلمة نحو: وعد، أم في وسطها نحو: قال، أم في آخرها نحو: سعى.

***باب اللفيف :** و يضم الكلمات الثلاثية التي بها حرفان من حروف العلة و ينقسم اللفيف إلى قسمين لفيف مفروق: أي أن حرفي العلة فرقهما حرف صحيح نحو: وعى، وقى، وفى، فالعين و القاف و الغاء فرقت بين حرفي العلة الواو و الألف، و لذا يسمى لفيفا مفروقا و القسم الثاني هو اللفيف المقرون: و يكون فيه حرفا العلة متجاورين نحو: حوى، روى، عوى، شوى.

***باب الرباعي:** و يضم الكلمات الرباعية نحو:جعفر، دحرج،قشر، طمان، ويخرج منها الكلمات الرباعية التي فيها حرفان مكرران نحو: زلزل، لأنها ذكرت في الباب الثاني .

1-علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور اللسان،ص،83

2-السيوطي، المزهر ص 90

***باب الخامس:** ويضم الكلمات المكونة من خمسة أحرف نحو: جحمرش، سفرجل...الخ. وهكذا نجد أن كل كتاب من الكتب الستة والعشرين التي تكون منها معجم العين مقسم إلى ستة أبواب على النحو السابق ،وروي عن ابن الطيب اللغوي أن الخليل رتب أبوابه وتوفي من قبل أن يجمعه وقد أراد الخليل أن يحصر ألفاظ اللغة حصرا علميا ، باستخدام نظام حسابي دقيق، وذلك أنه وجد ألفاظ اللغة العربية باعتبار أصولها محصورة في أربعة إما أن تكون من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة، ووجد أن كل بناء من هذه الأبنية الأربعة يمكن حصر ألفاظه بتقليب الكلمات على كل الأوجه الممكنة.و يوضح لنا الخليل ذلك بقوله: أعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو: قد، دق، شد، دش، و الكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه و تسمى مسدودة و هي نحو: ضرب، ضبر، برض، بضر، رضب، ربض، و الكلمة الرباعية تتصرف على أربعة و عشرين وجها و ذلك أن حروفها هي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح و هي ستة أوجه فتصير أربعة و عشرين وجها يكتب مستعملها و يلغي مهملها و ذلك نحو: نقول، عبقر، عقرب، عقبر، قرقب، عرقب، عبرق، قبعر، قعرب، قبرع، قرعب، قربع، رعقب، زعبق، رقعب، رقبع، ربقع، ربفق، بعقر، بعرق، بقعر، برعق، برقع، قعبر، بقرع، و الكلمة الخماسية تتصرف على مائة و عشرين وجها وذلك أن حروفها هي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي و هي أربعة و عشرين حرفا فتصير مائة و عشرين وجها و تستعمل أقله و يلغى أكثره.(1)و كان يمكن للخليل أن يعدل عن هذه الطريقة إلى طريقة أخرى و إنما اختارها بمحض إرادته لأنها توافق علمه بالموسيقى و النغم.و على كل حال فيكاد العلماء يتفقون على أن فكرة جمع اللغة على هذا النحو هي للخليل بن أحمد، و إن اختلفوا في أنه ألف كتاب العين كله أو اقتصر على وضع الفكرة فيه.(2)

لقد قسم الخليل بن أحمد معجمه إلى ستة و عشرين كتابا. عقد في كل حرف من حروف المعجم كتابا ثم عقد لحروف العلة الثلاثة و الهمزة كتابا و جاء ترتيبه للحروف كالتالي: ع،ح،ه،خ،غ / ف،ك /ج،ش،ض/ ص،س،ز/ ط،د،ت/ ظ،ذ،ث/ ر،ل، ن/ ف،ب،م/ و،أ،ي،الهمزة.

1-مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، معجم العين،ص 59

2-أحمد أمين ضحى الإسلام، الجزء الثاني، ص 269

و قد اهتدى إلى التقييم مراعيا مخارج هذه الحروف من الفم، كما هو موضح في الجدول التالي:

الأصوات الحلقية	ع، ح، خ، غ	لأن مبدأها من الحلق
الأصوات اللهوية	ق،ك	لأن مبدأها من اللهاة
الأصوات الشجرية	ج، ش، ض	لأن مبدأها من شجرة الفم
الأصوات الأسيلة	ص، س، ز	لأن مبدأها من أسلة اللسان
الأصوات النطعية	ط، د، ت	لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى
الأصوات اللثوية	ث،ذ ، ظ	لأن مبدأها من اللثة
الأصوات الذلقية	ر، ل، ن	لأن مبدأها من ذلة اللسان
الأصوات الشفوية	ف، ب، م	لأن مبدأها من الشفة
الأصوات العلة	و، أ، ي،همزة	هوائية

و فيما يتعلق بحروف العلة، فالواو صوت شفوي، و الياء صوت غاري، و الهاء صوت حنجري و سمى الخليل هذه الأصوات الأربعة بالهوائية.

ثم حاول الخليل حصر الكلمات الثنائية في اللغة العربية بشكل عام فضرب العدد 28 و هو عدد حروف الهجاء في العربية في العدد 27 و هو عدد الحروف التي تتركب منها الكلمات الثنائية بعد سقوط الحرف نفسه في التركيب مع نفسه فالهمزة مثلا تأتي مع كل الحروف إلا مع نفسها و كذلك كل حرف لا يأتي مع نفسه في كلمة ثنائية و نتج من ضرب 28*27العدد 756 تركيبا ثنائيا في العربية و كان للخليل أن يضرب العدد 28*27 و لكنه أهمل التركيب الذي يضم حرفين حتما ثلين مع أنه ورد في العربية ( ) قف، صص، بب،...الخ ثم ينتقل إلى إنما اكتفى بالحرف المركب مع غيره أب، أت، أث، أج، أح، أخ، أد...الخ ثم ينتقل إلى الباء بأ، بت، بث، بج، بح، بخ...الخ و ليس كل هذا العدد مستعملا بل فيه المهمل و قد أشار الخليل إلى المستعمل و المهمل من الثنائي و الثلاثي و لم يشر إلى ذلك في الرباعي و الخماسي لكثرة المهمل و صعوبة حصره.(1) كما حاول الخليل حصرا الكلمات الثلاثية في اللغة العربية حصرا شاملا عن طريق ضرب العدد 28 و هو عدد حروف الهجاء في العربية في 28 و هو الحرف الثاني في الكلمة في 27 حرفا فقط لأن الموقع الثالث في الحرف قد يكون ألف مد مبدلة عن الواو و الياء لنا فإن عدد الجذور الثلاثية المسموح بها رياضيا 28*27=656، 614 تركيبا ثلاثيا في العربية ما بين المهمل

1-محمد رجب عبد الجواد،إبراهيم،دراسات في الدلالة و المعجم،ص167

و المستعمل أما الرباعي الممكن رياضيا فيكون حاصل ضرب 28*28*28*28=614، 656 تركيبا رباعيا في اللغة العربية.

أما الخامس فيكون نتيجة حاصل ضرب 28*28*28*28*28=17210، 368 تركيبا خماسيا في اللغة العربية ما بين مهمل و مستعمل.

و محاولة الخليل حصر اللغة محاولة جليلة مبتكرة إلا أنه لم يستوعب في معجمه اللغة و لكنه ذكر أنه مجموع ما يمكن أن يستخرجه من الألفاظ العربية هو حوالي 12 مليونا من الكلمات.

و لكن لم يتبعه أحذ من تلامذته أو من اللغويين الذين جاءوا بعده و لم يقصدوا إلى ما قصدوا إليه لأن استيعاب كل كلمات اللغة أمر مستحيل بل و فوق مقدور البشر و كل ما يمكن الوصول إليه هو حصر اللغة حصرا عقليا فقط.

و ثم فكرة هامة تنبه لها الخليل في وضع معجمه و هي أنه ما من كلمة في العربية إلا و لها جذر أي حروف أصلية تتولد عنها و بالاشتقاق يتم توليد، الكلمات من الجذور و إذا كانت الكلمات الثنائية قليلة في العربية فإن الكلمة الثلاثية في الغالبة(1) ثم الرباعية ثم الخماسية، و لذا افترض اللغويون القدامى الجذر الثلاثي لأصل اللغة و أكد البحث العلمي الحديث، و هي دراسة إحصائية لمعجم"تاج العروس" أسفرت على أن العربية تحوي من الثلاثي 7597 جذرا، و من الرباعي 4081 جذرا، و من الخماسي 300 جذرا.

و لذا نظم الخليل المفردات تبعا لأصولها فقط، بغض النظر عن الزوائد، و لقد ظلت فكرة الخليل هذه هي السائدة بين كل المعاجم العربية، فلم يخرج معجم واحد منذ الخليل حتى الآن عن الأخذ بفكرة الجذر، اللهم إلا كتب المعرب و الدخيل، كالمعرب للجوا ليقي، و شفاء الغليل للشهاب لخفاجي، لأن هذه الكتب تؤمن بأن الكتلة المعربة كل حروفها الأصول، و لا سبيل إلى الاشتقاق منها، و كذلك كتب المصطلحات ككتاب "الفروق" لأبي البقاء، و بعض كتب غريب القران، و غريب الحديث.

و لعل أهم ما يتميز به العين انه كان يعتمد في تفسيره لمعاني الكلمات على شواهد الشعر العربي و القرآن الكريم، و الحديث الشريف، و الأمثال، و كان شديد على إثبات سند روايته اللغوية، مما جعل نصوصه موضع ثقة العلماء من بعده، كما أن المعجم ترك أثرا واضحا في كل المعاجم التي جاءت بعده، فمنهم من جاء و سار على منهجه كالأزهري في تهذيب اللغة و التالي في البارع، و منه من حاد على المنهج و لكنه ممن عمل بفكرة الجذر اللغوي أو الأصل الاشتقاقي التي ابتكرها الخليل، كما أنه أول عربي حصر اللغة حصرا علميا دقيقا، فضلا على أنه سبق أحمد بن فارس و ابن جني إلى فهم الاشتقاق الكبير و هو دلالة الحروف في كلمة من الكلمات رغم اختلاف ترتيبها و تركيبها على أصل **معنوي** واحد.

1-محمد رجب عبد الجواد إبراهيم، مرجع سابق، ص168

و ذلك بإتباعه نظام التقليب، فقد كان الخليل حين يعرض لشرح كلمة من الكلمات يذكر معها تقلباتها و يذكر معنى كل صورة من صورها دون التعرض للربط بين دلالات تلك الصورة فجاء ابن جني محاولا للربط، بين دلالات كل صورة من الصور الخاصة باللقب نحو: ك.م.ل/ م.ل.ك/ م.ك.ل/ ل.ل.ك/ م.ل.م/ التي يقول عنها ابن جني: على انك إن أنعمت النظر و لا طغته، و تركت الضجر و لا تحاميته، لم تكد تقدم قرب بعضها البعض، و إذا تأملت ذلك وجدته بإذن الله، لأن المعاني و إن اختلفت ألفاظها أويت إلى مضجع غير مقض، و أخذ بعضها برقاب بعض و لذا فقد نظم الخليل المفردات تبعا لأصولها فقط، بغض النظر عن الزوائد، و لقد ظلت فكرة الخليل هذه هي السائدة بين المعاجم العربية.(1)

أما عن طريقة الكشف في معجم العين فهي كالآتي: إذا كان الفعل مضارعا أو احمرا رد إلى الماضي فالفعل: يضرب، و ضرب يردان إلى الماضي: ضرب و إذا كانت الكلمة جمعا جئنا لها بمفردها مثل: شيوخ نقول فيها شيخ و أبطال مفردها بطل، و إذا كانت الكلمة مزيدة نجردها من حروف الزيادة فنقول في : استغفر أصلها غفر، و في : اجتمع أصلها جمع، وفي: محمود أصلها حمد، و إذا كانت الكلمة مصغرة مثل: وليد و كليب جئنا بالمكبر منها : ولد ، كلب، و إذا كان بالكلمة حرف مقلوب مثل: "قال" فرد المقلوب إلى أصله: قول و "باع" أصله"بيع".

و إذا كان في الكلمة حرف محذوف رد المحذوف سواء كان المحذوف أول الكلمة نحو: هبة، صفة، صلة، عدة، أم كان في وسط الكلمة نحو: من، أم كان في آخر الكلمة نحو: أب، أخ، فم، دم، يد، فالأصل في الكلمات السابقة: وهب، وصف، وصل، وعد، منذ، أبو، أخو، فمو، دمو، يد أو يدو،. و إذا كانت الكلمة منسوبة ردت إلى أصلها قبل أن تلحقها ياء النسب نحو: عربي يصبح عرب، إذا كانت الكلمة مضغمة مثل: شد، زلزل، يستغني عن التضعيف لتعود الكلمة إلى أصلها ثنائية أو ثلاثية، ثم يبحث في بنائها الثنائي أو الثلاثي فكلمة شد يبحث عنها في معجم العين في باب الثنائي، و كذلك كلمة الزلزلة في باب الثنائي: زل، ثم نرتب حروف المادة ترتيبا صوتيا حسب النظام الذي وضعه الخليل في معجمه، و يبحث عن أصل الكلمة في أسبق الكتب من حيث المخارج الصوتية، فكلمة(عمل) يبحث عنها في كتاب العين لأنها أسبق في الترتيب من الميم و اللام ثم في داخل كتاب العين يبحث عنها في باب الثلاثي الصحيح.أما كلمة(سمع) فيبحث عنها في كتاب العين لأنها أيضا أسبق في الترتيب من السين و الميم، ثم داخل كتاب العين نبحث في باب الثلاثي الصحيح عن كلمة (سمع) و مشتقاتها.و كلمة (غفر) يبحث عنها في كتاب العين لأن العين أسبق في الترتيب من الفاء و الراء.و كلمة (روى) يبحث عنها في كتاب الراء لأن الراء أسبق في الترتيب من الواو و الياء، ثم في داخل كتاب الراء يبحث عن الكلمة في باب اللفيف المقرون لوجود حرفين متجاورين من حروف العلة فيها.

1-محمد عبد الجواد إبراهيم، مرجع سابق ص 168.

نموذج تطبيقي:

كيف نبحث عن الكلمات الآتية في معجم العين؟

استوى، استقام، دحرج، سفرجل، عظة، السماء.(1)

الإجابة:

الكلمة	الجذر	الكتاب	الباب
استوى	سوى	السين	اللفيف المقرون
استقام	قوم	القاف	الثلاثي المعتل
دحرج	دحرج	الحاء	الرباعي
سفرجل	سفرجل	الجيم	الخماسي
عظة	وعظ	العين	الثلاثي المعتل
السّمـــــاء	سمو	السين	الثلاثي المعتل

نموذج من معجم العين: د

كتاب العين: باب العين و التاء(ع، ت،ت،ع مستعملان)

العت ردك الفول على الانسان مرة بعد مرة، تقول عنت قوله أعته عنا و تعنت فلان في الكلام تعنتا: نردد فيه، و لم يستمر كلامه و العتعت

لمل رأتني مودنا غطيرا قالت أريد العنت الدفـــرا

فاسقاها الوابل الجـــوارا الاهمتار و لا وقاها العرا

تع:التعتعه: أن يعيا الرجل بكلامه و يتردد من عين و حصر و يقال: ما الذي تعتعه؟

فنقول العي و به أشبه ارتطام الدابة في الرميل، قال الشاعر:

يتعتع في الخبار إذا علاه و يعبر في الطريق المستقيم(2)

1-محمد رجب الجواد إبراهيم، مرجع سابق،ص،170

2-محمد رجب عبد الجواد إبراهيم، مرجع سابق ص 171

و من خلال دراستنا لمعجم العين لاحظنا فيه جملة عيوب منها صعوبة الأخذ منه لصعوبة ترتيبه لأنه رتب حروفه حسب المخارج كما علمت، و من الصعب تتبع هذا، و كذا لأنه خلط بين الثلاثي المضاعف و الرباعي المضاعف و فيه أيضا خلط كثيرين عليه الزبيدي في مختصر العين، كما نجد أن الخليل يذكر كلمة و يذكر مقولو بها فيذكر في مادة ع ب د مثلا ب ع د، دبع،...الخ.فمن الصعب عند البحث عن كلمة معرفة أيها الأصل و أيها المقلوب.

كما نجد الخليل وقع فيه تصحيف كثير لما علمت من(الكلمة) أن الكتابة في ذلك العصر لم تكن تنقط، و حروف العربية فضلا على ذلك كتقاربة في الشكل فبين الغاء في الوسط و الغين تقارب و التاء و النون كذلك و هذا قد أوقع اللغة العربية و مؤلفاتها في كثير من اللبس و لم ينتبه إليه من مؤلفي المعاجم إلا الفيروزبادي و على كل حال فقد أحذروا على كتاب العين كثيرا من التصحيف وألف كثير من العلماء كتابي في تصحيح ما جاء فيه من الغلط أو

تكميل ما فاته من النقص و إليك أمثلة مما جاء فيه من التصحيف قال:عسا الليل، أظلم، و إنما غشا الليل بالغين المعجمي.(1)

و رغم هذه الأخطاء التي وقع فيها الخليل إلا أنه يكفيه فخرا أنه أول من فكر في هذا الموضوع في اللغة العربية، حيث حصر جميع الكلمات التي يمكن أن توجد في نظرنا، ثم بين المهمل و المستعمل، و يعني بالمهمل الكلمة التي لم تقلها العرب و لم تستعملها، كما أن هذا المعجم ترك أثرا واضحا في كل المعاجم التي جاءت بعده فمنهم من سار على منهجه و منهم من حاد على هذا المنهج و لكنه عمل بفكرة الجذر اللغوي التي ابتكرها الخليل بن أحمد الفراهيدي و هي ميزة لم يسبقه إليها أحد قبله، فضلا على أنه سبق ابن فارس و ابن جني إلى فهم الاشتقاق الكبير.(2)

1-أحمد أمين، ضحى الأسهم،ص 269

2-محمد رجب عبد الجواد إبراهيم،مرجع سابق، ص 172

-منهج الخليل في صناعة المعجم:

و من هنا يمكن أن نوجز المنهج الذي سار عليه الخليل في تأليف معجم العين أو منهج العين في تقديم المادة على النحو التالي:

1. بنى الخليل معجمه على أساس صوتي حيث رتب المواد على أساس مخرج الحروف فبدأ بأبعدها مخرجا و هي الحلقية، ثم باللسانية، ثم الشفوية، ثم الجوفية، على نحو ما سبق في ترتيب الحروف، و قد سمى كل حرف منها كتابا و سمى المعجم كله بأول حرف بدأ به هو العين.

2. بنى الخليل معجمه أيضا على أساس رياضي فقد جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في موضع واحد، حيث اتبع طريقة التقليبات الصوتية، فالكلمات الثلاثية مثلا المكونة من الباء و الراء و العين و هي: (عرب-عبر-رعب- ربع-بعر-برع) يبحث عنها في باب العين، لأنها أبعد الحروف مخرجا، و الكلمات المكونة من الباء و الراء و الكاف و هي: (كرب- كبر-ركب-ربك-بكر-برك) يبحث عنها في باب الكاف لأنها أبعد الحروف الثلاثة مخرجا و هكذا.

3.لاحظ الأبنية أي مقدار حروف الكلمة،فبدأ بالثنائي ثم الثلاثي ثم الرباعي ثم الخماسي، و قد بين أن الثنائي ما كان على حرفين، و ذلك يغلب في الأدوات مثل: قد و لو و هل، و قد يكرر الحرفان و هو ما يعبر عنه الصرفيون بمضعف الرباعي مثل: زلزل و صرصر، فيدخل أيضا في باب الثنائي.(1) و أما الثلاثي فقد بدأ فيه بالصحيح و هو ما كانت حروفه خالية من حروف العلة مثل: سمع و كتب، ثم بالمعتل و هو ما كان أحد حروفه معتلا أوله، أو وسطه أو آخره, فالأول هو المثال، و الثاني هو الأجوف، و الثالث هو الناقص، ثم اللفيف و هو ما اعتل فيه حرفان، متصلين كانا أو منفصلين، الأول اللفيف المقرون، و الثاني اللفيف المفروق. ثم جاء بالرباعي و الخماسي، و قد بدأهما كذلك بالصحيح و أنهى كل منهما بالمعتل و جعل الهمزة ضمن حروف العلة، لأنها تصير بالتسهيل إلى الألف أو الواو أو الياء كما تقدم.

4.اتبع الخليل عند جمع المواد أمرا لاحظه كل أصحاب المعاجم من بعده و هو الرجوع بالكلمة إلى حروفها الأصلية، و هو يشمل أمرين:

***أولهما:**تجريد الكلمة من الزوائد، فاستغفر مثلا تكون في مادة (غ ف ر) بحذف الألف و السين و التاء.

***و ثانيهما:**إرجاع حروف العلة إلى أصلها فكلمة قال مثلا تكون في مادة (ق و ل) لأن الألف أصلها الواو/ و باع في مادة (ب ي ع) لأن الألف أصلها الياء و هكذا.

1-أمين محمد فاخر، دراسات في المعاجم العربية، الطبعة الأولى، ص 16

5.كما يلاحظ في شرح الخليل للألفاظ المتفرعة من المادة استشهاده بالكلام الفصيح ، فيستشهد بنصوص من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، و مأثور كلام العرب الفصيح شعرا و نثرا، و لكنه كثيرا ما يغفل نسبة الأبيات إلى قائليها، و نادرا ما تذكر تلك النسبة.

6.ينبه على المهمل و المستعمل في بداية كل مادة و تقليباتها.(1)

ثالثا: طريقة الكشف في معجم العين:

بعد تأليف الخليل لكتابه و معرفتنا لمنهجه يمكننا الكشف عن الكلمة التي نريد البحث عن معناها،وجب علينا أن نتبع كما يأتي:

1-لابد من الرجوع إلى الحروف الأصلية للكلمة، و هذا أمر عام في كل المعاجم اللغوية، فتجرد الكلمة المزيدة من زوائدها، كما يرجع بالكلمة إلى أصلها عندما تكون معتلة، و كذلك الجمع يرد إلى مفرده.

2- بعد معرفة الحروف الأصلية للكلمة، فإننا نبحث عنها في الباب الذي يحتوي على أبعد الحروف فيها مخرجا عن الناحية الصوتية، و قد سمى الخليل كل باب من ذلك كتابا.

و عن ذلك كلمة علماء مثلا مفردها عالم و حروفها الأصلية (ع ل م) يبحث عنها في باب العين (أي كتاب العين فقد سمي كل باب كتابا) و كلمة استمع مثلا حروفها الأصلية (س م ع) يبحث عنها كذلك في نفس الوضع، و كلمة قال حروفها الأصلية (ق و ل) فهذا التركيب و تقليباته المختلفة و ما اشتق منها مثل: القلو(ق و ل) و الوقل (و ق ل) و ولق (و ل ق) و لوق (ل و ق) و اللوق (ل و ق).

و كل ذلك يبحث عنه في كتاب القاف إذ هي أبعد حروف الكلمة مخرجا، فهي تحرج من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، أما اللام فتخرج من طرف اللسان مع اللثة العليا، و الواو تخرج من الجوف، و قد وضع الخليل حروف الجوف بعد الحروف الشفوية.

3- و عند البحث عن الكلمات الثنائية المضعفة أو المكررة مثل: (صر) أو (صرصر) ينظر إلى حروف الكلمة الأصلية بدون النظر إلى التضعيف أو التكرار،فيبحث عن الكلمتين السابقتين، و أصلهما (ص ر) في كتاب الصاد إذ هي أبعد الحرفين مخرجا كما رتبها الخليل.كما يلاحظ أن الثنائي يكون في أول كل كتاب، يليه الثلاثي بأنواعه الثلاثة الصحيح و المعتل و اللفيف ثم الرباعي و الخماسي.(2)

1-أمين محمد فاخر، دراسات في المعاجم العربية، ط1، ص 17

2-أمين محمد فاخر، دراسات في المعاجم العربية، ط1، ص 18

و لنذكر مثالا يؤكد لنا ما ذكرناه من المنهج الذي اتبعه الخليل في كتابه العين: العين و الكاف و الدال معهما: عكد، دعك، دكع (مستعملات)، عدك، كدع، كعد، (مهملات).

<<عكد>>

العكدة: أصل اللسان و عقدته، و عكد الطيب عكدا، أي سمن و صلب لحمه، فهو عكد، و استعكد الطيب، إذ لجأ بحجر أو جحر، و استعكد الطائر إلى كذا: انظم إليه مخافة البازى و نحوه، قال:

إذا استعكدت منه بكل كداية من الصخر وافاها لدى كل مسرح

هذه ضباب استعصمت من الذئب فهو لا يقدر أن يحفر الكدية، و هو ما صلب من الأرض، و كذلك كداية.

<<دعك>>

دعك الأديم، و الثوب و نحوه، و الخصم و ما شابهه، يدعكه دعكا، إذ لينه، قال العجاج:

قرم القروم صلهبا ضباركا قلخ الهدير مزحما مداعكـــــــا

<<دكع>>

الدكاع: داء يأخذ الخيل و الإبل في صدورها، و هو كالخبطة في الناس، دكع فهو مدكوع، قال القطامى:

ترى منه صدور الخيل زورا كان بها نحــازا أو دكاعـــــــــا(1)

رابعا: مدرسة الخليل:

مدرسة الخليل أول مدرسة عرفتها العربية في تاريخ المعجم العربي، و الخليل إمام هذه المدرسة و إمام المعجميين العرب عامة، فهو أول من شق أمامهم طريق التأليف المعجمي و دلهم عليه، و فتح لهم بابه.و قوام مدرسته ترتيب المواد على الحروف حسب مخارجها، و تقسيم المعجم إلى كتب، و تفريع الكتب إلى أبواب بحسب الأبنية، و حشد الكلمات في الأبواب،و قلب الكلمة إلى مختلف الصيغ التي تأتي منها، ثم قوله في باب السين و الميم مع الواو و الألف و الياء: سوم، وسم، سمو، مسو، موس، و إهمال ما لم يستعمل إذا لم تجئ، فهو قد أهمل في هذا الباب <<ومس>> لأن العرب لم تستعمله في رأيه. و قد سار بعض رواد التأليف المعجمي على نهج الخليل، فالتزمه الأزهري في التهذيب، و ابن عباد في المحيط، و القالي في البارع.

1-إبراهيم نجا، المعاجم اللغوية، 34،35

لم يكن هؤلاء الرواد مقلدين، و لم يتبعوا الخليل في كل دقيقة من دقائق منهجه، بل خافوه في بعض منهجه، و أضافوا إلى طريقة الخليل أشياء جديدة، و هذا الجديد الذي أضافوه أو المقصد الذي أرادوه نتيجة تطور التأليف المعجمي الملحوظ بين البادئ المبتكر، و التابع المتأخر(1)، و لكن هؤلاء التابعين المتأخرين لم يسعهم الابتكار مثل الخليل، و لم يستطيعوا الخروج عن قواعد مدرسته المتبوعة.(2)

قصد أتباع مدرسة الخليل إلى جمع اللغة، و لكنهم أرادوا مع ذلك أن يسموا عملهم بجديد، فوصف الأزهري عمله في كتابه أنه تهذيب اللغة، أما ابن دريد فسمى كتابه جمهرة اللغة، و اسمه يدل على مقصده من تأليف معجمه، فهو عني بتدوين جمهور العربية، و مقصد ابن عباد في المحيط استيعاب المواد استدراك ما أغفله غيره ممن سبقوه، و مقصد القالي قريب من مقصد الأزهري.(3)و لم يكن هؤلاء الأتباع صورة مكررة للخليل، بل بينه و بينهم نقاط يلتقون فيها، و أوجه خلاف، و نجد هذا الخلاف بين الأتباع أنفسهم. إلا أن هذا الخلاف بين طريقة الرائد المتبوع و الأتباع لا يعود إلى قصد المخالفة، و لكنه التطور الذي نشهده بين المبتكر و من يجيء بعده، فيزيد الخلف على السلف زيادة لا تنقص من قدر الإمام الرائد، ففضل الابتكار منسوب إليه، و ذكره مرفوع به.(4)و من أتباع أوجه الخلاف أن الخليل جعل كل كتاب في معجمه قائما على حرف من حروف الهجاء، و مقسوم إلى أربعة أبواب: الثنائي المضاعف، و الثلاثي الصحيح، و اللفيف، و جعل الباب الرابع للرباعي و الخماسي، فالقالي أفرد لكل من الرباعي و الخماسي بابا، و عزل ما كان ثلاثيا معتلا بحرف اللفيف، و سماه الثلاثي المعتل، و الأزهري خالف الخليل في المهموز و أحرف العلة.

1-أحمد عبد الغفور العطار، الصحاح و مدارس المعجمات العربية، ص 124

2-نفس المرجع، ص 125

3-أمين محمد فاخر، دراسات في المعاجم العربية، ص 74

4-إبراهيم نجا، المعاجم اللغوية، ص 35

الفصل الثاني

الخليل و العروض:

- تعريف علم العروض
- قصة الخليل مع العروض
- أسباب اهتمام الخليل بعلم العروض
- العروض بين الخليل و ناقديه.

الفصل الثاني : الخليل و علم العروض

تعريف علم العروض:

أ-لغة: استعملت هذه الكلمة في لغة العرب قبل أن يعرف علم العروض، فقد جاءت في اللغة بمعنى الناحية أو الطريق الصعبة، و بمعنى السحاب الرقيق و الناقة الصعبة، و بمعنى الخشبة المعترضة وسط البيت من الشعر و نحوهن و أطلقت في مكة المكرمة لاعتراضها وسط البلاد.(1)

ب-اصطلاحا: أما العروض اصطلاحا فهو العلم الذي يعرف به موزون الشعر من فاسده و لا تخرج تعريفات العلماء عن هذا المنوال. يقول الخطيب التبريزي: <<العروض ميزان الشعر به يعرف صحيحه من مكسوره و هي مؤنثة>>.(2) ، و يقول أيضا: <<يحتمل أن يكون سمي عروضا، لأن الشعر معروض عليه فما وافقه كان صحيحا و ما خالفه كان فاسدا>>.(3)، و يقول أيضا أبو نصر الجوهري: <<العروض ميزان الشعر>>.(4)و يقول أبو القاسم إسماعيل بن عباد: <<هو ميزان الشعر به يعرف مكسوره من موزونه كما أن النحو معيار الكلام به يعرف معربه من ملحونه>>.(5)، و يقول أحمد بن فارس بن زكريا: <<هي ميزان الشعر، و بها يعرف صحيحه من سقيمه>>.(6)، و يقول أمين علي السيد: <<إنه علم بأصول تعرفنا ميزان الشعر>>.(7) و يقول ابن جني: <<العروض ميزان شعر العرب و به يعرف صحيحه من مكسوره، من موافق أشعار العرب في عدة حروف الساكن و المتحرك سمي شعرا، و ما خالفه، فيها ذكرناه فليس شعرا، قام ذلك وزنا في طباع أحد لم يحفل به حتى يكون علىماذكرناه>>.(8) و يرى محمد التونجي أنه: <<علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة، و ميزان الشعر يعر به مكسوره من موزونه>>.(9)

1-سعد فوزي عيسى، العروض العربي و محاولات التطور و التجديد فيه، ص 15
2-الأطيب التبريزي، الوافي في العروض و القوافي، تحقيق فخر الدين قباوة، ص 29
3-نفس المرجع، ص 30
4-أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، عروض الورقة، تحقيق محمد علمي، ص 09
5-أبو القاسم إسماعيل بن عباد، الاقتناع في العروض و تخريج القوافي، ص 3
6-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحي في فقه العربية و سن العرب في كلامها، ص 43
7-أمين علي السيد، في علم العروض و القافية.
8-أبو الفتح عثمان جني، كتاب العروض، تحقيق د-فوزي عيسى ص 35
9-محمد التونجي ص 622

و يقول عبد الرؤوف أبا بكر السيد: <<هو علم وزن الشعر، و قياسه على النغمات،المتعارفة التي حددها الخليل، و أطلق عليها اسم البحور، و هو أيضا علم الهندسة الموسيقية التي ترافقه الإيقاعات النتظمة في آخر الموجات النغمية من القول للربط بينهما>>.(1)
و يرى اليازجي: <<أن العروض علم بأصول يعرف بها صحيح أوزان الشعر، و فاسدها، و فاسدها يشمل ما كان ناقصا عن القدر المفروض و ما كان زائدا عليه>>.(2)

و من التعريفات الدقيقة لعلم العروض تعريف مصطفى حركات: <<هو العلم الذي يدرس أوزان الشعر، و من مهام هذا العلم تعريف الوحدات المكونة للوزن، و تحديد قوانين تركيبها ووضع القواعد التي تخضع لها القصيدة العروضية، و تدخل كل هذه المهام في إطار عام واحد هو و صف الشعر العربي كما ورد إلينا وصفا علميا، و تقتضي هذا أنه ليس من صلاحيات العروض>>.(3) و قد ذهب العروضيون مذاهب شتى في تعليل تسمية هذا بالعروض، أجملها الدكتور إميل بديع يعقوب في قوله: <<و اختلف في سبب تسمية هذا العلم بالعروض على ستة أقوال:-لأن الشعر يعرض عليه، فيظهر الصحيح من الفاسد.

–أو لأن العروض بمعنى الناحية و الشعر ناحية من نواحي العلم و الأدب.
-أو لأن الخليل ألهم هذا العلم في مكة و من أسمائها العروض، فسماها الخليل بها.
–أو توسعا، و طلبا للخفة، و ذلك من الجزء الأخير من الصدر البيت الذي يسمى عروضا.
–أو لأن من معاني العروض الناقة الصعبة، فيسمى هذا العلم باسمها لصعوبتها.
–أو لمعنى من معاني العروض الطريق من الجبل، و بحور الشعر طرق النظم.(4)
و يقول إميل بديع يعقوب و ميشال عاصي: <<و العروض في عرف البعض هي الناحية بمعنى إحدى نواحي العلوم، و قيل هي الناقة الصعبة التي لم تروض، و قد يسمى علم العروض كذلك لأنه علم صعب، و لفظة العروض تتضمن معنى العرض لأن الشعر يعرض على هذا العلم لاختبار سلامة وزنه>>.

و قد كان علم العروض مثار جدل، و نقاش بين نقاد الشعر عموما، و بين العروض خصوصا، فهناك من يدعو إلى ضرورة النقد بالبحور الخليلية باعتبار أنّ الوزن أصيل في تركيب الكلمات العربية. و هناك من يدعو إلى القافية عضو أثري قد بقى من كلمات يكررها في آخر كل بيت النادب في المناحات، و المتحمس في الحرب، و الصدام و يوم تولد الشعر في عصور الجاهلية، و لابد من زواله لعدم فائدته اليوم.

1-عبد الرؤوف أبا بكرالسيد، المدارس العروضية في الشعر العربي، ص 131

2- ناصف اليزجي، دليل الطالب إلى علوم البلاغة و العروض، ص 11

3 -مصطفى حركات، قواعد الشعر، ص 10، 11

4-إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض و القافية و قون الشعر،ص 337

5-نفس المرجع، ص 884

ثانيا: قصّة الخليل مع العروض:

لقد اختلفت الروايات حول نشأة علم العروض عند الخليل، فيقال أن الخليل بن أحمد الفراهيدي مبتكر علم العروض سماه عروضا تيمنا بمكة المكرمة، و يقال أنه ابتكره فيها، و يروي بعض العلماء أن الخليل عندما رأى بعض الشعراء المعاصرين له ينظمون شعرا بقوالب أو بإيقاعات لم تسمع عن العرب. يقال أن الخليل طاف حول البيت بمكة المكرمة و دعا الله أن يلهمه علما لم يسبق إليه فاعتزل الناس في حجرة له، كان يقضي فيها الساعات الطويلة يقرأ كل ما جمع من أشعار العرب و يوقعها على أنغامها، و يضع كل مجموعة متجانسة منها منفردة في دفتر حتى تم له حصر أوزان الشعر العربي و ضبط أحوال قافيته (1) .و ثمة رواية أخرى تناقلها الرواة من قصة ابتكار الخليل هذا العلم فيقال إنه كان يمر يوما بسوق النحاسين و هو يدير بيتا من الشعر في رأسه فتوافق تتابع حركاته مع تتابع النحاسين على أنيتهم، و توافقت سكناته مع موقف المطارق الآنية، فالطرق حركة، و التوقف سكون، و هكذا فأدرك أن موسيقى البيت، إنما جاءت من حركات و سكنات منتظمة و أجرى ذلك في بقية الأنواع حتى استوى له هذا العلم كاملا.(2)

ثالثا: أسباب اهتمام الخليل بعلم العروض:

لقد اختلف العلماء في شأن الباعث الذي دعا الخليل إلى التفكير في وضع علم العروض، و استنباط قواعده: <<ويجمع الرواة على أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو واضع هذا العلم لكنهم يختلفون في شأن الباعث الذي دعاه إلى وضعه: فمنهم من ذهب إلى أنه دعا الله بمكة أن يرزقه علما لم يسبقه إليه أحد، و لا يأخذ إلا عنه، فرجع من حجه ففتح بعلم العروض.
و قال بعضهم أن الدافع هو اشتقاقه من اتجاه بعض شعراء عصره إلى نظم الشعر على أوزان لم يعرفها العرب.و قالت فئة ثالثة إنه وجه نفسه، و هو بمكة يعيش في بيئة يشيع فيها القادة فدفعه ذلك إلى التفكير في الوزن الشعري، و ما يمكن أن يخضع له من قواعد و أصول.(3) و قد زعم بعض الدارسين أن الخليل لما رأى فساد الذوق الشعري وضع علم العروض و هذا حكم مجانب للصواب، يقول الدكتور ممدوح حقي: <<و إن من أبر الجهل الإدعاء بأن الخليل لما رأى فساد الذوق، و ضعف التحليل الشعري صنف هذه البحور لينظمه، بل كان الشعراء في زمنه أكثر من أن يحصوا،وكلهم ذا إحساس ممتاز في هذا اللحن الشعري>>.(4) من الروايات المتداولة في الكتب العروضية ما ذكره ابن خلكان صاحب كتاب"وفيات الأعيان": <<و إنما اخترعه من ممر له بالصفا رين من وقع مطرقة على طست>>.

1-أمين علي السيد، في علم العروض العربي و محاولة التطور و التجديد فيه، ص16

2-سعد فوزي عيسى، العروض العربي و محاولة التطور و التجديد فيه، ص 15

3-إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض و القافية و فنون الشعر، ص 336، 337

4-ممدوح حقي، العروض الواضحة، ص 60

و قد تبنى جل العروضيين هذه الرواية، يقول السيد أحمد الهاشمي: <<قيل إنه مر يوما بسوق الصفارين، فسمع دقدقة على الطست، فأدله ذلك إلى تقطيع أبيات الشعر، و فتح الله عليه بعلم العروض>>.(1)

و يشرح هذه الرواية الدكتور ممدوح حقي قائلا: "أول من صنف الشعر الغربي و حصر نغماته في أوزان خاصة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، و ذلك أنه لما شرع يتحرى الأوزان الشعرية طفق يصنف ما يسميه من قصائد العرب إلى نغمات متشابهة، و يضم إلى كل زمرة مثيلها حتى اجتمع لديه خمس عشرة نغمة متفاوتة لم يسمع بعدها بيتا إلا وجد لنغمته مثيلا في هذه النغمات فعرف أن تصنيفه قد انتهى و لم يسبق عليه ألا يضع لها أساسا مشتركا، و ذات يوم يسير في سوق الصفا رين تنبه إلى قرع المطارق المتوالي ينهال على صفائح النحاس باتزان طا طا طم، طا طا طم، طا طا طم، فأخذ يدمدم في طريقه على إيقاعه: فعلن، فعلن، فعلن، و انكشف أمام بصيرته النغمة العامة لهذه الزمرة الخمس عشر، و طبق كلمة فعل عليها، فإذا هي تنطبق تماما، و استخرج الأوزان جميعا إلى هذا الأساس، و يسمي كل نغمة قائمة بنفسها بحرا"(2).

و تعتقد نازك الملائكة أن دافع الخليل لاكتشاف علم العروض هو مساعدة النقاد حتى يستطيعوا تقويم الشعراء إذا أخطئوا و تجانبوا الجواب: "حين وضع الخليل بن أحمد قواعد العروض العربي القديم استقراها من الشعر الغربي المسموع، فحصر الأوزان المعروضة جميعا، ووضع لها مقاييس عامة شاملة سماها البحور ثم تناول التغيرات التي تعتري البحور و التفريعات عنها، و ما يعتريها من زحاف و علل، و استخلص لها قوانين و مقاييس لبى بها حاجة الشعر، و النقد في زمانه،...و كان عرضه من ذلك أن يستطيع الناقد تقويم خطأ الناظم حين يخطئ على أساس علمي ثابت لا يعتريه النقص"(3). كما ترى أن الخليل لم يضع العروض العربي دفعة واحدة بل:"وضعه في بطئ و تؤده خلال سنوات كثيرة،و لا أستبعد أن يكون عدل فيها، و غير و حذف و أضاف مراراوتكراراحتى اكتمل بالشكل الذي وصلنا"(4). و لكن هل اخترع الخليل العروض اختراعا من العدم؟ أم أنه استفاد من أوليات سبقته؟ لا يعقل أن يكون الخليل مكتشفا للعروض من العدم لأن سنة وضع العلوم تصادف هذا، فالعلوم تبدأ بمحاولات ناقصة مضطربة ثم يفيض الله لها عالما يجمع شتاتها، و يؤسس قواعدها، و يفرع مسائلها.

يقول أحمد بن فارس:" فإن قال قائل: فقد تواترت الروايات بأن أبا أسود أول من وضع العربية، و أن الخليل أول من تكلم في العروض قيل له:نحن لا ننكر ذلك بل نقول إن هذين العلمين قد كانا قديما، و أتت عليهما الأيام، و قلا في أيدي الناس ثم جددها هذان الإمامين"(5).

1-السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ص 3،4

2-ممدوح حقي، العروض الواضح، ص 3

3-نازك الملائكة،قضايا الشعرالمعاصر،ص954-نفس المرجع ص 6

5-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الهاجي في فقه العربية، تحقيق أحمد حسن، ص 10

و دليل ابن فارس:" اتفاق أهل العلم على أن المنشرين لما سمعوا القرآن قالوا: إنه الشعر، فقال الوليد بن المغيرة: لقد عرضت ما يقرؤه محمد على قرّاء الشعر هزجه و رجزه، و كذلك و كذا، فلم أره يشبه شيئا من ذلك، فيقول الوليد هذا وهولا يعرف بحور الشعر"(1). و يقول الدكتور عبد المنعم أحمد صالح التكريتي ناقدا أدعاء ابن فارس بمعرفة العرب للعروض قبل الخليل:" لم يقدم لنا أدلة قوية تثبت صحة أدعائه"(2). و يرى الدكتور عبد العزيز عنيق:" و لكن لا ينبغي أن يفهم من وضع الخليل لعلم العروض أن العرب لم تكن تعرف أوزان من قبل، فالواقع أنهم كانوا قبل وضع علم العروض على علم بأوزان الشعر العربي على تباينها، و إن لم تكن تعرفها بالأسماء التي وضعها الخليل لها فيها بعد"(3). و يقول السيد أحمد الهاشمي:"و قد حصر الخليل الشعر في بحور بالاستقراء من كلام العرب بالذين خصهم الله به، فكان سرا مكتوبا في طباعهم اطلع الله الخليل عليه، و اختصه بإلهام ذلك و أن لم يشعروا به و لا نؤوه، و إنما ذلك مما فطرهم الله عليه".(4) فالخليل لم يخترع البحور الشعرية : " و إنما كان واضع أوزانها مما استخرجه من مأثور الأنغام و الإيقاعات، جاعلا لها وجودا حسيا كتابيا مستقلا ضمن المقاييس الثمانية، أو التفاعلية".و قد أيد هذا الرأي الدكتور علي يونس، و الدكتور صفاء خلوصي، و غيرهم. و قد زعم بعض الدارسين أن من أسباب وضع العروض العربي تأثر الخليل بثقافات الأمم الأجنبية السائدة في عصره، و خصوصا الثقافة الهندية، و الثقافة اليونانية، و هذا ما ذهب إليه البيروني قديما كما ذكر صاحب كتاب" المدارس العروضية في الشعر العربي" (5). و قد فند هذا الرأي جل الدارسين لنشأة العروض العربي، و عدوه و هما لأنه لا يعقل أن نقيس الشعر العربي بمقاييس أجنبية عنه، يقول المستشرق كارل بروكلمان:" إن العروض العربي لم ينشأ على أساس الشعر اليوناني، الرجز الذي هو أبسط أوزان الشعر العربي لا يشبه العروض اليوناني، الثلاثي النفعيات إلا شبها ظاهر مما يدل على أن العروض العربي نشأ نشأة مستقلة"(6). و من الباحثين من التزم الحياد في هذه المسألة، كالدكتور ممدوح حقي الذي يقول: " لا نستطيع أن نؤكد، أو ننفي تأثير الخليل بأوزان الشعر الهندية أو الفارسية، فربما وضع العروض العربي على غرارها"(7).

1-نفس المرجع، ص 11

2-عبد المنعم أحمد صالح التكريتي، قراءة عروضية في المعلقات العشر، ص 153

3-عبد العزيز عنيق، علم العروض و القافية، ص 8

4-السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، 884

5–عبد الرؤوف بابكر السيد ، المدارس العروضية في الشعر العربي، ص 83

6-كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ص 52

7-ممدوح حقي، العروض الواضح، ص 61

و السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو: هل كان الخليل على اطلاع و دراية بالموسيقى فتسن له الإبداع في العروض؟. إنّ صلة علم العروض بالموسيقى مسلمة لا تتطلب دليلا مؤكدا لها: " فالعروض في وزن الشعر يشبه الموسيقى في التنغيم، و لكنه يتخذ أداة أخرى غير هذه الرموز الموسيقية، و هذه الأداة هي التفعيلة التي نزن بها الشعر و نعرف صحيحه من غيره"(1) ,فالصلة التي تجمع بين علم الموسيقى و علم العروض: "تتمثل في الجانب الصوتي، فالموسيقى تقوم على تقسيم الجمل إلى مقاطع صوتية تختلف طولا و قصرا، و إلى وحدات صوتية معينة على نسق معين بغض النظر في بداية الكلمة و نهايتها، أو كذلك شأن العروض، فالبيت من الشعر يقسم إلى وحدات صوتية معينة، أو إلى مقاطع صوتية تعرف بالتفاعيل بغض النظر عن بداية الكلمة و نهايتها، فقد تنتهي المقاطع أو التفعيلة في آخر الكلمة و قد تنتهي في وسطها، و قد يبدأ من نهاية الكلمة و ينتهي ببدء الكلمة التي تليها"(2). إن الخليل بن أحمد كان على علم عميق بالموسيقى، بل إن عمله هذا كان من دواعي تفطنه لقوانين علم العروض: "فقد أعانت الموسيقى الخليل على اكتشاف هذا العلم لتمكنه منه، فنحن نجد ربطا بين الإيقاع و بين التقطيع العروضي، و تشابها كبيرا"(3). و يقول أحمد حسن الزيات قولا مؤكدا لهذا الرأي: "و كان الخليل على معرفة بالموسيقى وضع أول كتاب فيها غير إلهام بلغة أجنبية، و لا علم بآلة موسيقية و ساعده بصره بالنغم على اختراع علم العروض لما بين الإيقاع في الأنغام، و التقطيع في الأجزاء من التشبه، فضبط أوزان الشعر الخمس عشر، و حصرها في دوائرها الخمس، ووقعها على المقاطع و الحركات، و شغل بذلك وقته و نفسه حتى كان يقضي الساعات في حجرته يوقع بأصابعه و يحركها"(4). و يقول السيد أحمد الهاشمي: "قيل أن الخليل اهتدى لوضع هذا الفن بمعرفة علة الأنغام، و الإيقاع لتقاربها"(5). أما الدكتور عمر فروخ يقول: "و كان الخليل بن أحمد على شيء من العلم بالإيقاع و النغم، فألف فيها تمهيدا في أن غلب لوضع علم العروض"(6).

أما الدكتور شوقي ضيف فيرى أن كتابه هذا "علم الإيقاع" هو الذي اعتمد عليه إسحاق الموصلي فيما بعد لبناء صرح الموسيقى العربية، يقول: "كما قرأ ما ترجمه غيره من علم الإيقاع الموسيقي عند اليونان، و حذف هذا العلم حذفا، فألف فيه كتابا كان الأصل الذي اعتمد عليه إسحاق الموصلي في تأليف كتابه الذي صنفه في النغم و اللحون"(7).

1-أمين علي السيد، في علم العروض و القافية، ص 17

2-عبد العزيز عنيق، علم العروض و الثقافة، ص 12

3-عبد الرؤوف بابكر السيد، المدارس العروضية في الشعر العربي، ص 142 4-أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 322

5-السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ص 114

6-عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 114

7-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصاجي في فقه العربية و من العرب في كلامها،تحقيق أحمد حسن، ص10

أما الجاحظ، فيثبت للخليل كتابين في الموسيقى، و لكن في نفس الوقت يتهمه بالجهل بها، يقول: "وغره من نفسه حسن أحسن في النحو، و العروض فظن أنه يحسن الكلام، و تأليف اللحون، فكتب فيها كتابين يدلان على جهله"(1). و نود أن نختم هذا العنصر بقول يدل على مكانة الخليل و ضخامة جهده العروضي، هو لابن خلكان, يقول ابن خلكان: "كان الخليل، إماما في علم النحو، و هو الذي استنبط علم العروض، و أخرجه إلى الوجود و حصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمس عشر بحرا، ثم زاد فيه الأنفس بحرا، و سماه الجنب ....و له معرفة بالإيقاع أو النغم و تلك المعرفة أحدثت علم العروض فإنهما متقاربين في المأخذ، و قال حمزة ابن الحسن الأصبهاني في كتابه الذي سماه "التنبيه على حدوث التصحيف" و بعد فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل،و ليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه، و لا عن مثال تقدمه إحتذاه ..... فلو كانت أيامه قديمة، و رسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعه ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من إختراعه الذي قدمت ذكره الخليل علم ذو منهج رائع و عقل فذ و كل شيء في علمه يدل على منهجية محكمة و يجلو عبقرية فذة.(2)

رابعا: العروض بين الخليل و ناقديه:

أ/ العروضيون القدامى و الخليل: في هذا المبحث سنتطرق إلى ذكر بعض العروضيين القدامى الذين استدركوا على الخليل أمثال الخطيب التبريزي ، الزمخشري و حازم القرطاجي و يعد هذا الأخير من أكثر العروضيين القدامى عمقا في نقد الخليل.

1-أ/ الخطيب التبريزي و الوافي في العروض و القوافل: هو أبو زكريا يحيا بن علي بن محمد بن الحسن الخطيب التبريزي الشيباني ولد في تبريز سنة 421هـ الموافق 1030م توفي في بغداد سنة 1109م الموافق 502هـ من مؤلفاته شرح للمع لابن جني تناول التبريزي في كتابه جملة من المصطلحات العروضية بدءا بالتعريف الخاص لهذا العلم حيث يحتمل أن يكون سمي عروضا لأن الشعر معروض عليه فما وافقه كان صحيحا و ما خالفه كان فاسدا.(3) ثم تحدث بعد ذلك عن الأسباب و الأوتاد و الفواصل و يخرج نتيجة مفادها و لا يتوالى في الشعر أكثر من أربعة متحركات و لا يجتمع فيه ساكنا إلا في قوافي مخصوصة.(4)

كما يسمي الخطيب التبريزي التفاعيل أمثلة و عددها ثمانية و الزحافات التي هي تلك التغيرات التي تطرأ على التفاعيل، حيث هذه الأمثلة الثمانية يقطع بها الشعر و هي:

فعولن فاعلن مفاعيلن فاعلاتن مستفعلن مفاعلتن متفاعلن مفعولان.

1-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصاجي في فقه العربية، ص 11

2-عبد المنعم أحمد صالح التكريتي، قراءة عروضية في المعلقات العشر، ص 15

3-الخطيب التبريزي الوافي في العروض و القوافي ص 29، 30

4-نفس المرجع ص 31

و نشير إلى تطرّق التبريزي في تعليل تسمية الدوائر العروضية حيث يرى أن الدوائر الأولى سميت دائرة المختلف لأن أبحرها مركبة من أجزاء خماسية و سباعية فلإختلاف أجزائها سميت دائرة المختلف.

أما الدائرة الثانية سميت دائرة المؤتلف لأن بحريها مركبان من أجزاء سباعية مكررة فأجزاؤها متماثلة و لإتلاف أجزائها سميت دائرة المؤتلف، أما الدائرة الثالثة فهي دائرة المشتبه فقد ذكرها بعد الفراغ من دراسته الهزج و الرجز و الرمل قال "سميت دائرة المشتبه لأن أجزائها متماثلة أيضا، و كل أجزائها يشبه الآخر لأنه مثله إذا كانت كلها سباعية...(1) أما الدائرة الرابعة و هي دائرة المجتلب و تشمل السريع و المنسرح و الخفيف و المضارع و المقتضب و المجتث سميت دائرة المجتلب لأن الجلب في اللغة هو الكثرة، فلكثرة أبحرها سميت بهذا الاسم و قيل سميت بذلك لأن أبحرها مجتلبة من الدوائر الأولى. و فيما يتعلق بالدائرة الخامسة فهي دائرة المتفق و سميت بذلك لإتفاق أجزائها، كون أجزائها خماسية كلها و الخماسي يوافق الخماسي.ثم يذكر التبريزي الخلاف في هذه الدائرة بين الخليل و من جاء بعده دون أن يبدي رأيه في هذا النزاع و من أصل الخليل أن هذه الدائرة لم ينفك فيها من المتقارب غيره فأفرده في دائرة، و من أصل غيره أنه لما انفك منه المحدث و هو من موضع لن في فعولن رتبته بعد المتقارب لأن المتقارب أوله وتد فوجب تقديمه على المحدث.(2)و الملاحظ أن التبريزي سمى الدائرة الثالثة بدائرة المشتبه، و الرابعة بدائرة المجتلب و هو في ذلك يخالف مذهب الخليل، حيث الثالثة عند الخليل دائرة المجتلب و الرابعة دائرة المشتبه.

2-أ/ حازم القرطاجي: و نهاج البلغاء و سراج الأدباء: هو أبو الحسن حازم بن محمد بن الحسن الأوسي ولد سنة 108ه توفي عام 684ه له عدة مؤلفات منها منهاج البلغاء، سراج الأدباء...الخ يركز حازم القرطاجي في كتابه هذا على مخالفة الخليل و بعض العروضيين و لأنه لا يرتكز في تحليله لبحور الشعر العربي على المنهج الخليلي المتبع و من هذه المخالفات التي نجدها في الدوائر العروضية نجد أن بعض العروضيين نفرو من نظام الدوائر العروضية لذا وجب أن يعتقد أن هذه الإنفكاكات التي لهذه الأعاريض من الدوائر أمور عارضة لذا لم يقل بهذا كثير من العروضيين كما نجد حازم القرطاجي يوجه نصيحة لطالب العروض مفادها عدم حرص المتأدب استقصاء جميع ما ينفك من كل دائرة و يروم أن يرد كثير من الأوزان إلى ذلك ، و لو بتجزئة متنافرة بل يجب عليه أن يقدر كل وزن بالتجزئة المتناسبة اللائقة به سواء وجد ذلك الوزن بتلك التجزئة منفكا من بعض الدوائر التي وقعت فيها أوزان مستعملة كما توجد دوائر لم يستعمل منها شيء(3)

1-نفس المرجع ص 119

2-الخطيب التبريزي الوافي في العروض و القوافي ص 177.

3-حازم القرطاجي مناهج السلفاء و سراج الأدباء تحقيق محمد الحبيب بن الخوجي ص 232

كما خالف حازم القرطاجي الخليل في تسمية بعض المصطلحات حيث يتضح ذلك جليا في قوله: "و لما قصدوا (العرب) أن يجعلوا هيئات ترتيب الأقاويل الشّعرية و نظام أوزانها منتزلة في إدراك السمع منزلة في إدراك السمع منزلة وضع البيوت و ترتيبها في إدراك البصر، تأملوا البيوت فوجدوا فيها السوار و أركان و أقطار أعمدة و أسباب و الأوتاد، فجعلوا الأجزاء التي تقوم منها أبنية البيوت مقام الكسور لبيوت الشعر، و جعلوا أطراد الحركات فيها الذي يوجد الكلام به استواء و اعتدالا بمنزلة أقطار البيوت التي تمتد في استواء و جعلوا ملتقى قطرين.....و ينقسم البيت عنده بنصفين بمنزلة عمود البيت الموضوع وسطه، و جعلوا القافية بمنزلة تحصين منتهى الخباء.(1)فقد سمى حازم المتحرك في الشعر قطرا و الساكن ركنا و نهاية السطر عمودا، و الساكن مرة أخرى وتدا و الجزء كسرا. كما خالف حازم الخليل في التفاعيل حيث تتسم عنده بالخماسية مثل فعولن و فاعلن، و سداسية مثل فاعلان و سباعية مثل مستفعلن، و متفاعلن و فاعلاتن و مفاعيلن، و ثمانية مثل متفاعلتن و مستفعلن و تساعية مثل مستفعلاتن. و أيضا نشير أن القرطاجي قد خالف العروضيين في تركيب البحور و رفضه لبعضها حيث يقص كلا من بحري المضارع و مجزوء البسيط، كما أضاف بحرا جديدا هو البسيط المجزوء المقطوع المخبون و الذي هم عند المحدثون مخلع البسيط و وزنه.

مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعولن .

و من خلال هذا العرض نستنتج أن كتاب المصنف مزج بين العروض و البلاغة مزجا فريدا من نوعه في كتب القداس و تعامل العروضيين إلى أن يقتبسوا تصحيح أصول صناعتهم من هذه الصناعة(2) و هكذا اعتبرهم القرطاجيين. و نلخص في الأخير أن حازم القرطاجي مزج بين علمين مختلفين هما القافية و العروض إلا أن هذا المزج لإصدار أحكام خاطئة كونه أضفى قواعد البلاغة على العروض حيث أن البلاغة تتصل بالبيان و المعاني و البديع و العروض، يتصل بالموسيقى الرابطة بين الشعر و بين التفاعل المختلفة لإبراز موسيقاه.

ب/ العروضيين المعاصرون و الخليل: في هذا المبحث سوف نحاول التطرق إلى ذكر بعض العروضيّن المحدثين الذين اقتفوا منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي، أمثال موسى الأحمدي نويوات و مصطفى حركات.

1-ب/ موسى الأحمدي نويوات: (المتوسط الكافي في علمي العروض و القوافي) بعد هذا الكتاب اللبنة الأولى لمؤلف العالم النشر و لقد أحسن بإخراجه لهذا السفر يعلم فيه الناس كيف يزينون الكلم و يزاوجون بين الكلمات لإنشاء النغمة الموسيقية و اللحن المحبب إلى النفوس فالكتاب إذن كتاب الشعر و الموسيقى(3). ولقد بدأ المؤلف كتابه بذكر الأسباب و الأوتاد و الفواصل و التفاعيل التي تسمى أجزاء و أركان و أمثلة.

1-حازم القرطاجي، مناهج السلفاء و سراج الأدباء، ص 250، 251

2-نفس المرجع السابق، ص 266

3-الأحمدي موسى بن محمد الملياني، المتوسط في علمي العروض و القواعد، ص 13

أما بخصوص الزحافات و العلل، فقد ذكر المؤلف نوعي الزحاف و نوعي العلة كما تحدث عن التفاعيل التي تدخل عليها، و البحور التي تلحقها شارحا ذلك بأمثال مبسطة ثم تحدث عن أسماء الأبيات الشعرية و عن عملية التقطيع،أما بخصوص حديثه عن البحور الشعرية فهي ستة عشر بحرا و هي ثلاث أقسام حيث يضم القسم الأول البحور التالية: الطويل، المديد، البسيط، متكونة من التفاعيل الخماسية و السداسية، أما القسم الثاني: فيضم أحد عشر بحرا و هي: الوافر، الكامل، الهزج، الزجر، الرمل، السريع، المنسرح، الخفيف، المضارع، المقتضب، المجتث، و هي مكونة من التفاعيل السباعية فقط. أما القسم الثالث: فهو مركب من التفاعيل الخماسية فقط و يضم بحران: المتقارب و المتدارك، و بعد أن نويوات من دراسته للبحور عقد فصلا للتمارين العامة على بعض الأضراب و قد كان يصدر أحكاما عن بعض البحور من حيث الاستعمال و الملائمة للأغراض كقوله: "الطويل أكثر بحور الشعر استعمالا و لاسيما في شعر المتقدمين، و يكثر استعمال الضرب الثاني فالأول، فالثالث و بعد هذا الأول.(1)و نشير أنّ الأحمدي في هذا الكتاب لم يذكر الدوائر، و في الأخير كخلاصة لهذا العنصر، يجب أن نشيد بأهمية هذا الكتاب في ميدان العروض، وهذا ما لمسناه في قول أحمد سحنون مقيما هذا الكتاب حيث يرى أن الجزائر ساهمت في هذا الميدان في دورها الأخير بكتابين قيمين: أولهما تحفة الأدب في ميزان الشعر العربي للمرحوم الدكتور محمد بن أبي شنب، ثانيهما كتاب "المتوسط الكافي في علمي العروض و القوافي" لصاحبه موسى الأحمدي.

2-ب/ الدكتور مصطفى حركات و قواعد الشعر و نظريات الشعر: يقر الدكتور مصطفى حركات بعبقرية الخليل بن أحمد الفراهيدي الفذة، و بضآلة ما جاء به العروضيين بعده، و قد تحدث مصطفى حركات في كتابه هذا عن الدوافع التي جعلته يؤلف الكتاب منها اهتمامات علمية تمكن في بنية الأوزان و أسرارها و اهتمامات تربوية تتجلى في تبسيط نظريته و نظرية من سبقه. و بعد الاطلاع على هذين الكتابين يمكننا حصر أسس النظرية العروضية التي توصل إليها هذا المؤلف و من بين هذه الأسس نجد عامل التقطيع العروضي حيث يعرفه بقوله: "هو العملية التي تمكننا انطلاقا من بيت شعري معين أن نحدد مكوناته الوزنية ابتداءا من السواكن و المتحركات في البحر".(2)و هذا التقطيع يشمل أربعة مراحل هي: الكتابة العروضية، الحركات و السكنات، كتابة التفعيلات، تعيين وزن البيت. وقد اعترف المؤلف صعوبة التقطيع، و بالمقابل افتتح طريقة كتبديل للطريقة المعهودة و من بين ضوابط هذه الطريقة أن لا يتجاوز وتدان و لا أكثر من سببين في البيت و كذا إذا ابتدأ البيت بوتد فإن كل التفاعيل تبتدأ بوتد، أما الساكن علامة نهائية وحده...الخ. أما في ما يخص الترميز عنده فقد أعطى الرقم 1 كرمز لكل متحرك و لكل ساكن الرقم 0 دون أن يذكر علة ذلك خصوصا أن القدامى يرمزون للمتحرك بالرقم 0 و للساكن بالرقم 1، كما رمز للسبب الخفيف ب: س و للسبب الثقيل س و للوتد بالرمز: و ،و للوتد المفروق.

1-نفس المرجع السابق، ص 299

2-مصطفى حركات، قواعد الشعر، ص 50

يرى الدكتور مصطفى حركات أن مفهوم الدائرة العروضية من المفاهيم الأساسية في عروض الخليل، فهو يتحكم في إنتاج أوزان التفاعيل و البحور و لكن هذا المفهوم لم يدرس دراسة كافية سواء من الناحية تعريفه النظري و خواصه الشكلية أو من ارتباطه بالواقع.(1)كما يرى الدكتور مصطفى حركات أنه هناك بحور مهملة في الشعر العربي و قد علل ذلك المؤلف في كتابه "قواعد الشعر" هذه المسألة التي شغلت بال العروضيين، و هي مسألة ندرة استعمال بعض البحور و إهمال بعضها الآخر و شهرها بعض الأضرب و إضمار بعض الأضرب الأخرى.
و قد ميز الدكتور مصطفى حركات بين النظرية العروضية و الواقع الشعري و بين العلاقة الموجودة بينهما و يمكن أن نتقدم ملخصا لهذه العلاقة منها أن تعريف الشعر سابق لنشأة العروض و معنى هذا أن الأوزان من إنتاج الشعراء و ليس من ابتكار العروضيين، و كذا الواقع الإيقاعي معقدا جدا، فهناك العشرات من النماذج الشعرية و لكل نموذج مكانات كثيرة بعضها لازم و بعضها اختياري كما تطمح هذه النظرية أن تصف قواعد كل الشعر و أن تكون في الوقت نفسه بسيطة لذا فقد لجأ العروضيين إلى أشكال نموذجية على المستوى التاريخي للأشكال المستعملة و ليس هي الأكثر تداولا و ربما لم تكن مستعملة. كما أن الزحافات و العلل التي تنقلها من الأشكال النموذجية نحو الواقع...(1) و نشير في الختام أن كتب مصطفى حركات العروضية أنصب جل اهتمامه على ميدان الدراسات العروضية، كما نلمس جهده الكبير الذي بذله في هذا الميدان كما لا نجد الدكتور مصطفى حركات يشكك في منطلقات الخليل العروضية أما صعوبة كتب الدكتور العروضية فتتجلى في توظيفه للمفاهيم الرياضية التي تعتبر فهم البراهين الرياضية و مع ذلك كله فإن جهد الدكتور حركات العروضي لا يمكن أن تلمه في بعض سطور أو وصفات و إنما يتطلب دراسة مستقلة. من خلال دراستنا لمختلف جوانب علم العروض عند الخليل في هذا الفصل تبين لنا أن أهمية العروض في الإيجاز فعلل هذا المعرض يؤمن بعد كفر، و ينقاد بعد جماع و يرتد إلى حلقة الدراسيين في حماسة و بشاشة و نشاط و ألخص وجوه هذه الأهمية في ما يلي:

-العروض يساعد على التفطن لما يزدان به الشعر العربي من اتساق في الوزن و انسجام في الموسيقى.

ـالدراسة العروضية الناجحة تمكن الدارس من إدراك الأبيات السليمة و الأبيات المختلة فور قراءتها أو الاستماع إليها.

ـو هذه الدراسة أيضا تربي الإحساس بمدى أطراد الأوزان و انسياب النغم أو بما يفسد هذا الاتساق في البيت المقروء أو المسموع.

1-مصطفى حركات، قواعد الشعر، ص 51

–و هي تنمي القدرة على قراءة الشعر قراءة صحيحة و توقف الأخطاء التي يتورط فيها القارئ.(1)

- و لا ينبغي أن تستهين بهذه القراءة أو نغص من شأنها فإن قراءة البيت الشعري قراءة فاسدة مختلة الوزن أو قراءة صحيحة مستقيمة الوزن إنما هي موقف يحكم على صاحبه بالقبح أو الجمال بجانب الحكم عليه بالخطأ أو الصواب و النفس البشرية قد تحتمل الحكم عليه بالخطأ و لكن الحكم عليها بالقبح أمر صعب الاحتمال فرع المنصوب في قراءة بيت من الشعر يحكم فيه على القارئ بالخطأ و احتمال ذلك سيور و لكن قراءة البيت مكسورا موقف يحكم فيه على القارئ بالخطأ و القبح و احتمال ذلك على النفس عسير.

1-عبد العليم، إبراهيم صفوة العروض، ص 10.

الفصل الثّاني:

حضور الصوت كأساس في علمي العروض و المعجمية:

1- التّعريف بالصوت.

2 – التّعريف بعلم الصوت.

– الصوتيات

– الصوتيات الوظيفيّة.

3-الصوت و العلوم الأخرى

4-الصوت و علم المعاجم.

5– الصوت و علم العروض.

6– الصوت بين علمي العروض و المعجمية.

2- تعريف الصّوت:

أ-لغة: يعرفه الخليل في مادة (ص.و.ت) بقوله: صوت فلان (بفلان) تصويتا أي دعاه و صات يصوت صوتا فهو صائت بمعنى صائح. و كل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات، و رجل صائت، حسن الصوت شديده، و رجل صيت: حسن الصوت. و فلان حسن الصيت له صيت و ذكر في الناس حسن.(1) و يعرفه ابن منظور في "لسانه" : الصوت: الجرس، معروف مذكر، فأما قول رويشد ابن كثير الطائي:

يا أيها الراكب المزجي مطيته *** سائل بني أسد : ما هذه الصوت ؟

فإنما أنثته لأنه أراد به الضوضاء و الجلبة على معنى الصيحة أو الاستغاثة. قال ابن سيدة: هذا قبيح من الضرورة أعني تأنيث المذكر لأنه خروج عن أصل إلى فرع و إنما المستجاز من ذلك رد التأنيث إلى التذكير ، لأن التذكير هو الأصل بدلالة أن الشيء مذكر، و هو يقع على المذكر و المؤنث فعلم لهذا عموم التذكير، و أنه هو الأصل الذي ينكر، و نظير هذا في الشذوذ قوله و هو من أبيات الكتاب :

إذا بعض السنين تعرقتنا *** كفى الأيتام فقد أبى اليتيم

قال و هذا أسهل من تأنيث الصوت من تأنيث الصوت لأن بعض السنين سنة و هي مؤنثة و هي من لفظ السنين، و ليس الصوت بعض الاستغاثة.(2) و لا من لفظها، و الجمع أصوات، و قد صات يصوت و يصات، صوت فأصات و صوت به كله نادى و يقال صوت يصوت، تصويتا فهو مصوت وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه. و يقال: " صات، يصوت صوتا فهو صائت معناه صائح".(3) أما ابن السكيت فيقول: " الصوت صوت الإنسان و غيره و الصائت الصائح و كذلك ابن بزرج قال: " أصابت الرجل بالرجل إذا شهره بأمر لا يشتهيه و إنصات الزمان به انصياتا، إذا اشتهر".(4) و في الحديث: الصوت و الدف يريد إعلان النكاح و ذهاب الصوت و الذكر به في الناس.

1-الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، ج7، تحقيق د. مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، (1404ه / 1984م)، ص 146.

2–ابن منظور، لسان العرب، ج8، دار صادر- بيروت- ط1، 2000، ص 302.

3-ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص 302.

4–المرجع نفسه، ص 302.

و يقال: له صوت وصيت أي ذكر، و الدف: الذي يطبل به، و يفتح و يضم، و في الحديث: أنهم كانوا يكرهون الصوت عند القتال هو أن يناد بعضهم بعضا، أو يفعل أحدهم فعلا له أثر و يصيح و يعرف بنفسه عن طريق الفخر و العجب. و في الحديث كان العباس رجلا صيتا أي شديد الصوت عاليه يقال: هو صيت و صائت، كميت و مائت، و أصله الواو و بناؤه فيعل، فقلب و أدغم، و رجل صيت و صات، و جمال صات: شديد الصوت. و قال ابن سيدة: يجوز أن يكون صات فاعلا ذهبت عينه و أن يكون فعلا مكسور العين، قال النظار الفقعسي:

كأنني فوق أقب سهوق *** جأب إذا عشر، صات، الأرنان

قال تعالى: "و استفزز من استطعت منهم بصوتك" قيل بأصوات الغناء و المزامير، و أصات القوس جعلها تصوت، و الصيت: الذكر. يُقال ذهب صيته في الناس: أي ذكره، و الصيت و الصات: الذكر الحسن. قال الجوهري: الصيت، الذكر الجميل الذي ينشر في الناس دون القبيح و يقول أيضا: "العرب تقول، أسمع صوتا و أرى فوتا، أي أسمع صوتا، و لا أرى فعلا، و مثله إذا كنت تسمع بالشيء ثم لا ترى تحقيقا ... و كل ضرب من الغناء صوت و الجمع أصوات".(2) و يعفه ابن فارس في معجمه بقوله: (الصوت)، الصاد و الواو و التاء أصل صحيح، و هو الصوت، و هو جنس لكل ما وقر في أذن السامع يقال هذا صوت زيد، و رجل صيت: إذا كان شديد الصوت، و الصائت إذا صاح، فأما قولهم (دعى) فإنصات، فهو من ذلك أيضا، كأنه صوت به فانفعل من الصوت، و ذلك إذا أجاب.و الصيت: الذكر الحسن في الناس، و يقال ذهب صيته".(3) و من كل هذه التعاريف نخلص إلى أن الصوت في مفهومه اللغوي مأخوذ من أصل صحيح يدل عليه و هو مادة، (ص.و.ت) و مصدره صات الشيء فهو صائت، و معنى صات، شديد الصوت، و الصوت مذكر و هو ليس بجسم و لا صفة له لأنه مدرك بحاسة السمع و لذلك فهو محسوس و غير ملموس. و يقال رجل صيت إذا امتاز صوته بالشدة و القوة، و رجل صائة أي صائح.

1-المرجع السابق، ص 302.

2-المرجع نفسه، ص 302

3-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1979، ص 318-

319

ب- الصّوت اصطلاحا:

لقد اهتم العلماء العرب بالدرس الصوتي منذ القدم و امتدت دراسته إلى المحدثين لكن بشكل أكثر تطورا على مستوى الدراسة لذلك نجد التعريفات قد تباينت بين القدماء و المحدثين، و لعل من أهم الرواد المهتمين به الفارابي الذي عرف الصوت بقوله: "و ظاهر أن تلك التصويتات إنما تكون من القرع بهواء النفس جزء من أجزاء حلقه أو جزء من أجزاء ما فيه و باطن أنفه أو شفتيه، فإن هذه الأعضاء المقروعة بهواء النفس، و القارع أولا هي القوة التي تسرب هواء النفس من الرئة و تجويف الحلق أولا فأولا إلى طرف الحلق الذي يلي الفم و الأنف و إلى ما يلي الشفتين ثم اللسان يتلقى ذلك الهواء فيضغطه إلى جزء من أجزاء باطن الفم و إلى باطن الأسنان، فيقرع به ذلك الجزء فيحدث عن كل جزء يضغط اللسان عليه، و يقرع به تصويت محدود و ينقله اللسان بالهواء من جزء من أجزاء أصل الفم فتحدث تصويتات متتالية كثيرة محدودة.(1) و قد جاء في رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا قوله: "الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة و بقوة و بسرعة من أي مكان كان... ، إن الصوت قد يحدث من مقابل القرع و هو القلع، و ذلك أن القرع هو تقريبا جرم ما إلى جرم آخر مماس له منطبق أحدهما على الآخر تبعيدا ينقلع عن ممارسته انقلاعا عنيفا لسرعة حركة التبعيد... و هذا يتبعه صوت من غير أن يكون هناك قرع".(2) و يعرف ابن جني الصوت قائلا: " الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا أملسا حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده و استطالته، و يسمى المقطع أينما عرض له حرفا، و تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها".(3)إذن فهذه هي من أهم تعريفات الصوت لدى العلماء الصوتيين العرب القدماء، الذين قالوا أن أصل الصوت هو تموج هواء النفس الناتج عن قرع أو قلع. و يعرفه من المحدثين الكثير من الرواد و على رأسهم إبراهيم أنيس و هذا في قوله: "الصوت ظاهرة طبيعية تدرك أثرها دون أن تدرك كنهها، و قد اثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، على أن تلك الهزات لا تدرك بالعين في بعض الحالات".(4)ويعرفه كذلك علاء محمد جبر بقوله: "الصوت ظاهرة طبيعية تستلزم وجود جسم في حالة اهتزاز أو تذبذب.

1-أبو نصر الفارابي، الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1970، ص 135.
2-أبو علي بن سينا، أسباب حدوث الحروف، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، 1978، ص 8.
3-أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هداوي، ج1، ص6.
4-إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة أنجلو المصرية، ط4، 1978، ص6.

و هذه الاهتزازات أو الذبذبات تنقل عبر وسط معين حتى تصل إلى أذن الإنسان و قد تكون ناتجة عن اصطدام جسم بآخر أو سقوط جسم أو انفجار أو غير ذلك، كما أنها قد تكون صادرة عن الحيوانات إلى جانب صدورها عن الإنسان"(1).إذن فالصوت حسب المفهومين الأخيرين ظاهرة فيزيائية، و هذه الظاهرة موجودة في الطبعة تستلزم وجود جسم يهتز.و نجد تمام حسان يعرفه قائلا:"الصوت عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي، و تصحبها أثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت و هو الجهاز النطقي، و مركز استقباله هو الأذن"(2). نستنتج مما سبق أن علماء الصوت يتفقون على أن الصوت ظاهرة طبيعية تستلزم وجود جسم يهتز.

علم الأصوات:

-التّعريف بعلم الصّوت: هو العلم الذي يتناول دراسة الأصوات البشرية دراسة علمية من جوانب مختلفة و متكاملة بدءا من خروج الصوت من الممر الصوتي، و انتهاء وصول الصوت إلى الأذن ثم المخ فيسمح و يدرك(3)

و يعد علم الصوتيات أحد فروع علم اللغة و التي تطرق إلى العديد من فروع العلوم المختلفة مثل علم النحو (.) و علم الصرف(.) و علم المعنى (.) و غيرها من العلوم(4).-يعرفه ابن جني في كتابه الخصائص بأنه: العلم الذي يدرس مادة اللغة المنطوقة أي الأصوات اللغوية التي يصدرها الإنسان و يهتم بالمعرفة الدقيقة لما تصدره أعضاء النطق و الكيفية التي جرى عليها في عالم اللغة، فهو يدرس الصوت الإنساني من ناحية وظيفته اللغوية بصورة متعددة ووسائل مختلفة.(5)

-فروع علم الأصوات:

ينقسم علم الأصوات إلى فرعين أساسيين هما:

-الفونيتيك

-الفونولوجيا

1-الدكتور علاء محمد جبر، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة و التطور، دار الكتب العلمية، ط1، 2006، ص3.

2-تمام حسان ، اللغة العربية مبناها و معناها، ص 66.

3-4-البهنساوي حسام، علم الأصوات مكتبة الثقافة الدينية،ص 9،10.

5-البدراوي زهران، في علم الأصوات اللغوية و عيوب النطق، الطبعة الأولى، دار المعارف، 1994، ص11.

أ-علم الأصوات أو الفونيتيك: -هو علم يدرس العناصر الصوتية للسلسلة الكلامية من حيث كونها أحداثا منطوقة تتمتع بتأثير سمعي معين دون النظر إلى وظائفها اللغوية، أو قيم استعمالاتها، أو تحقيقاتها الآنية في الاتصال اللساني، و يعني هذا العلم من جهة أخرى، بمادة الأصوات لا بقوانينها أو تنظيمها فيما بينها، كما أنه لا يبحث في أصوات لغة معينة بقدر ما يعني بالصوت اللغوي عامة، أي بالخصائص العامة المشتركة بين جميع اللغات، و يختلف هذا الفرع من الناحية على وظائف لغة الفونولوجيا التي تدرس العناصر الصوتية من زاوية وظائفها في الاتصال اللساني.(1)

ب-علم وظائف الأصوات أو الفونولوجيا:

-هو علم يبحث في وظائف أصوات اللسان البشري من ناحية القوانين التي تعمل بموجبها، و الدور الذي تقوم به في عملية التواصل اللساني و هو من هذه الناحية يختلف عن علم الأصوات (الفونيتيك) الذي يدرس الأصوات اللغوية نفسها، لكن دون الاهتمام بوظيفتها الاتصالية، لذلك لا تهتم الفونولوجيا بالناحية النطقية أو السمعية للأصوات و لا بالتغيرات الفردية لها، بل تكرس اهتمامها لدراسة "الفروقات الصوتية" من حيث عملها في فهم الرسالة اللغوية، و رغم أن هذا التميز بين العناصر الصوتية الضرورية للتبادل اللساني و العناصر الصوتية الأخرى ظهر في نهاية القرن التاسع عشر، فإن الفضل في ظهور الفنولوجيا بمفهومنا المعاصرة يعود إلى فرديناند دوسوسور (1857-1913) و حلقة براغ (2)

-جوانب علم الأصوات:- يقوم علم الأصوات بدراسة الصوت اللغوي من ثلاث نواح:

أ- علم الصّوتيات الفيزيولوجي (الوظائفي أو النطقي): -يهتم بدراسة عملية إنتاج الأصوات و رصد تحركات أعضاء الكلام المختلفة أثناء النطق داخل الجهاز الصوتي(3).

ب- علم الصّوتيات الفيزيائي: العلم الذي يختص بدراسة الخصائص الفيزيائية للأصوات المختلفة فيدرس الصوت في الوسط الهوائي (المرحلة الإنتقالية للصوت من خروجه من فم المتكلم حتى الوصول لأذن المستمع(4).

ج- علم الصّوتيات السمعي و الإدراكي: يختص بدراسة كيفية سماع الأصوات عن طريق عضو السمع (الأذن) و كيفية إدراك هذه الأصوات و فك شفرتها في المخ(5).

1-د.إميل بديع يعقوب، د.ميشال عاصمي، المعجم المفصل في اللغة و الأدب .الجزء الثاني، دار العلم للملايين ص.ب 1075،بيروت، ص 879.

2-نفس المرجع، ص 887.

3– البهنساوي حسام، علم الأصوات مكتبة الثقافة الدينية،ص 11

4-5- نفس المرجع.ص 13

الخاتّمـ ـة:

و ما يمكن الخروج به كخلاصة للدراسة الخليلية في مجال المعجمية و العروض أنه أول واضع للقواعد المعجمية و العروضية مستندا في ذلك على مقياس ضابط مشترك بين العلمين و هو الصوت، فمعجم العين قام على أساس صوتي، و كذلك علم العروض قسم على أساس صوتي و هذا راجع إلى أذنه الموسيقية و حسن وصف الحروف من مخارجها، و لهذا كانت الجهود العلمية إلى ما جاءت بعده في الدراسة المعجمية و العروضية مجرد شرح و بعض إضافات أو تعليقات، لذا كان تميز علميه بصبغة علمية دقيقة، لا يمكن أن تكون لرجل غيره، فقد سبق زمانه، و من هنا كان الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو المعجم و العروض، و بهذا يكون له الفضل الكبير في الحفاظ على اللغة العربية من جانب مفرداتي معجمي، و من جانب تركيبي عروضي في البناء الشعري، لهذا كان العالمان متكاملين في الحفاظ على اللغة العربية.

بالنسبة للعروض نختم بأن الشعر ليس موهبة فحسب و إنما هو نظم قبل ذلك، و للنظم قواعده و أسسه فإن كان الشاعر الموهوب بكل موهبته التي يعتز بها ينظم الشعر ، و يخطئ في الوزن فما باله يزدري العروض و يترفع عن دراسته إذن، فالشعر هو العروض.

أما بالنسبة للمعجمية فلمثلها بمعجم العين الذي يعد قاعدة لها فهو النواة التي تتفرع منها المعاجم، فالذي قام بهذه الأعمال لم يكن مجرد عروضي أو معجمي فقط بل حاول حصر اللغة العربية حصرا علميا دقيقا، فهو المحدث، و القارئ، و النحوي، و اللغوي، و العروضي و الرياضي.

قائمة المصادر و المراجع:

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان و أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، 1968.

2- أبو الحسن أحمدبن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه العربية و سنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان.

3- أبو الفتح عثمان بن جني، كتاب العروض، تحقيق الدكتور فوزي عيسى، دار المعرفة الجامعية، ط1، القاهرة، 1998.

4- أبو القاسم إسماعيل بن عباد، الإقناع في العروض و إخراج القوافي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، المكتبة العلمية، ط1، بغداد.

5- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، عروض الورقة، تحقيق محمد علمي، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، المغرب، 1984.

6- - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، عروض الورقة، تحقيق محمد علمي، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، المغرب، 1984.

7- الخطيب التبريزي، الوافي في العروض و القوافي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر، ط4، دمشق، 1996.

8- إبراهيم نجا، المعاجم اللغوية، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية.

9-أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، ط10، بيروت، لبنان.

10- أحمد عبد الغفور عطار، الصحاح و مدارس المعجمات العربية، مكة المكرمة، ط4، 1410ه- 1990م.

11- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، دار العلوم، جامعة القاهرة، عالم الكتاب، ط1، 1998.

12- أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار العادة، ط2، القاهرة، 1998.

13- أمين علي السيد، في علم العروض و القافية، دار المعارف، ط1، 1991.

14- أميل بديع يعقوب، المعجم المفضل في علم العروض و القافية و فنون الشعر، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1991.

15- البهنساوي حسام، علم الأصوات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص.ب 21، توزيع القاهرة.

16- الجيلالي حلام، المعاجمية العربية، قراءة في التأسيس النظري، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، وهران، 1997.

17- -محمد رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة و المعجم، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة.

18- سعد فوزي عيسى، العروض العربي و محاولات التطور و التجديد فيه، دار المعرفة الجامعية، 2003.

19- عبد الرؤوف أبا بكر السيد، المدارس العروضية في الشعر العربي، المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان، ط1، طرابلس، 1985.

20- عبد العزيز عتيق، علم العروض و القافية، دار النهضة العربية، د،ت،ط1.

21- عبد العليم، إبراهيم صفوة العروض، دار الغريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة.

22- عبد المنعم أحمد صالح التكريتي، قراءة عروضية في المعلقات العشر، مطبعة الإرشاد، بغداد 1986.

23- فتح الله أحمد سليمان، دراسات في علم اللغة، دار الكتاب الذهبي للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة.

24- محمود فهمي الحجازي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث و اللغات السامية، دار الغريب، القاهرة.

25- مصطفى حركات، قواعد الشعر، دار الفنون المطبعية، الجزائر، 1989.

26- - ناصف اليزجي، دليل الطالب إلى علوم البلاغة و العروض، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1990.

27-نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1962

فهرس الموضوعات